العجلة والأناة

في حياة النبي ﷺ وصحابته الكرام

تأليف الدكتور

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية



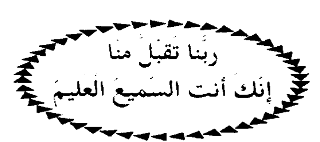




العَجَلَةُ والأَنَاةُ

في حياة النبي ﷺ وصحابته الكرام







دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

الإهداء

إلى كل شاب مؤمن حريص على دين الله أهْديه ، وأناديه

أخي الحبيب أصغ إلى ... ولو كُنْت في آخر الزّمن

كلماتٌ كتبتُها إليك ... فاقرأها ولا تعْجلن

فإن رأيت فيها خيراً ... فخذها ولا تُعرِضن

وإن رأيت غير ذلك فسا ... محْني ولا تقلب لي ظهر المجن

فما أردت إلا نصحكَ ... وتجنيبك شر المحن

وأسألُ اللهَ تعالى أنْ ... يُجنّبنا شر أنفسنا والفتن

محبكم في الله

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

عفا الله عنه

تصدير

■ قال تعالى : ﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُون (٣٧) ﴾ .
[الأنبياء : ٣٧] .

■ قال تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) ﴾ .
[القيامة : ٢٠ – ٢١] .

■ وقال رسول الله ﷺ :**(الأناة من الله والعجلة من الشيطان)** [١] .

■ **وقال ابن حبان ـ رحمه الله ـ :**

(العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة واستفاد مذمة لأن الزلل مع العجل) [٢] .

■ **وقال الشاعر:**

لا تعجلن فليس الرزقُ بالعجلِ ... الرزقُ في اللوح مكتوبٌ مع الأجل

فلو صبرنا لكان الرزقُ يطلبنا ... لكنه خُلِقَ الإنسانُ من عجل

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : لابن حبان ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ الرياض ١٤٢٢ هـ .

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ،ختم برسالته الرسالات ، فكان مسكاً للختام ، وعم نوره الأنام ، وأزال داجية الظلام ، فصلى الله تعالى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بهم إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإن محنة الدعوة والأمة الإسلامية قد طال ليلها ، وأصبح تكالب خصومها عليها أمراً واضحاً ، وتخلي كثير من أبنائها عن قضية الدعوة ، وأساء جزء آخر من أبناءها أيضاً القيام بتبليغ الدعوة ، وذلك لأسباب كثيرة تجمعت عبر سنين ، منها تفرق الأمة وغياب القيادة الراشدة التي تقوم في الناس بأمر الله تعالى ومنهجه الذي لا يضل من اتبعه ولا يشقى ، ومنها استجابة أبنائها لتجهيل العدو لهم بقضيتهم العادلة .

ومن عرف واجبه من أبناء الأمة فنهض لأدائه والقيام به ربما افتقد التربية الدعوية الصحيحة الواعية المتكاملة، وغفل أو تغافل في ظل تزايد الضغوط ـ عن سُنن الله في الكون ـ وراح يحاول التغيير والإصلاح في جسد الأمة ، ولكن دون مراعاة تلك السنن التي لا تتبدل ولا تتغير ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾[فاطر : ٤٣] .

■ والغفلة عن سُنن الله في الكون أمر خطير ، إذْ أنه يجعل العمل عشوائياً ، وقد يصادم السُنن وبالطبع مآله إلى فشل .

■ ولقد وضح الله تعالى أن التغيير الحقيقي الذي مآله إلى النجاح هو ما

روُعي في التدرج بالمجتمعات ، وروعي فيه الطبائع النفسية للبشر ، وقام واعتمد على التربية العميقة التي ربما تطول فترتها إلى سنين ، وذلك من خلال تدرج الشريعة الغراء بالأمة في قطع علاقتها بفوضى الجاهلية وتعميق صلنها بمنهج ربها تعالى .

■ ويلزم الأمر لكي يتم التدرج والبناء المتين في العمل الدعوي أن يكون الدعاة على قدر كبير من الأناة والحلم والرفق والصبر ، وأن يحذروا من العجلة فهي في أكثر الأحوال ــ إن لم يكن على الدوام ــ سبب تضييع الجهود ، وبقاء الأمة في محلها لا تتقدم إلى الأمام ، ولا تحقق ما تريد .

■ جيدٌ وينبئ بخير أن توجد أنفس مؤمنة عندها حماس للإسلام ، ولكن هذا الحماس إذا لم يصاحب فقه وبصيرة ، يتحول إلى عجلة وحمق ، فيضر هذا الحماس أكثر مما ينفع .

■ وتكاد العجلة تكون سمة من سمات أبناء هذا الجيل بكل أشكالها سواء العجلة في طلب الرزق أو العجلة في الحكم على الناس أو العجلة في طلب العمل أو العجلة في التصدر للدعوة ، أو العجلة في التغيير ، ... وتبدو آثارها واضحة في تضييع الجهود المبذولة ، وتشويه صورة العمل الإسلامي ، وإتاحة الفرصة لتمكين خصوم الدعوة منها ، وتعطيل مسيرة العمل الدعوي ، والفرقة والشتات ، وتعريض الدعوة لخوض معارك قبل أوانها ، ... وغير ذلك من الآثار السلبية التي تحتاج من كل مخلص بذل الجهد في التوجيه ، ومن كل منصف قبول الحق بعد أن يتبين ، فهو خير من التمادي في الباطل .

وربما يرجع هذا إلى طبيعة النفس الإنسانية ، والتي قال الله فيها : ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[الأنبياء : ٣٧] ولكن هذه الطبائع المتعجلة جاءها منهج يضمن تقويمها وتهذيبها ، وقد حصل ، ويكفي بياناً لذم العجلة أن يعاتب الله نبيه وكليمه موسى عليه السلام على استعجاله إلى لقائه سبحانه طلباً لمرضاته، قال

تعالى : ﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)** ﴾ [طه : ٨٣ – ٨٤] ، وإن يقول النبي ﷺ : « **الأناة من الله والعجلة من الشيطان** » وأن يثبت في الواقع أنه ما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ، لأن الزلل مع العجل .

■ كثير من الشباب تحمله العجلة على أن يظن إمكانية التغيير بسهولة ، فيتعجل قطف الثمار قبل أوان الحصاد ، فيفاجأ بمرارة الثمرة لأنها لم تنضج بعد .

■ « إن الإسلام يلقي بذوره ، ويقوم على حراستها ويدعها تنمو نموها الطبيعي الهادئ وهو واثق من الغاية البعيدة ، ومهما يحدث من البطء أحياناً ومن التراجع ، فإن هذا شأن الفطرة ، والزرعة قد تسفي عليها الرمال ، وقد يأكل بعضها الدود وقد يحرقها الظمأ ، وقد تصاب بشتى الآفات ، ولكن الزارع البصير يعلم أنها زرعة للبقاء والنماء ، وأنها ستغالب الآفات كلها على المدى الطويل ، فلا يعجل ولا يقلق ولا يحاول أن ينضجها بغير وسائل الفطرة الهادئة اليسيرة ، ومن ثم يصاحبها اليسر وتسهل تكاليفها على النفوس » [١] .

■ فلا بد من الأناة والتدرج في دعوة الناس إلى ربهم (فإذا أردنا أن نقيم مجتمعاً إسلامياً حقيقياً فلا نتوهم أن ذلك يمكن أن يتحقق بقرار يصدر من رئيس أو ملك أو من مجلس قيادي أو برلماني .. إنما يتحقق بطريق التدرج . أي بالإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية) [٢] ، وهذا كله لا تحققه جهود المتعجلين .

■ ولا نعني بالتدرج هنا التسويف وتأجيل التنفيذ ، واتخاذ كلمة التدرج تكأة لتمويت فكرة المطالبة الشعبية الملحة بإقامة حكم الله وتطبيق شرعه ، بل نعني بها تعيين الهدف ووضع الخطة ، وتحديد المراحل بوعي وصدق ، بحيث

(١) انظر : هذا الدين : لسيد قطب ٣٧ ، ٣٧ ط دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٢ م .

(٢) الخصائص العامة للإسلام ، د. يوسف القرضاوي ، ص١٦٨ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٨٩م .

تسلم كل مرحلة إلى ما بعدها بالتخطيط والتصميم والتنظيم ، حتى تصل المسيرة إلى المرحلة المنشودة التي تقام فيها قيام الإسلام ، كل الإسلام) [١] .

■ (ومن أروع المواقف التي تذكر تدليلاً على فهم هذا السُّنَّة الربانية وتطبيقها موقف الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ حينما تولى الخلافة ، وأراد أن يعود إلى هدى النبي ﷺ وخلفائه الأربعة ، وذلك بعد أن يتمكن ويمسك بجميع الخيوط في يديه ، ولكن ابنه الشاب الغيور المتحمس (عبد الملك) من الأتقياء المتحمسين ينكر على أبيه عدم إسراعه في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم و التعفية على آثارها ، قال له يوماً : مالك يا أبت لا تنفذ الأمور ؟ ، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ، فكان جواب الأب الفقيه المؤمن ؟ .

قال : لا تعجل يا بُني فإن الله تعالى ذمّ الخمر في القرآن الكريم مرتين ثم حرمها في الثالثة ، إني أخاف أن أحمل الناس على الحق فيدعوه جملة فيكون من ذا فتنة) [٢] .

■ (فما هدم في أعوام لا يمكن أن يبنى في أيام ، فعلى الأمة أن تتبنى سياسية النفس الطويل والصبر الجميل ، فتصبر على البذرة حتى تنبت ، وعلى النبتة حتى تورق ، وعلى الورقة حتى تزهر ، وعلى الزهرة حتى تثمر ، وعلى الثمرة حتى تنضج ، وتؤتي أكلها بإذن ربها سبحانه) .

(إن الأعمال المتعجلة التي صدرت عن كثير من العاملين في المجال الدعوي ، عرضت الدعوة إلى هزة عنيفة ، وجعلت قطاعاً كبيراً ممن لا يعرف طبيعة العمل الدعوي واحتمال تطرق الخطأ إليه يفكر ألف مرة : ماذا سيكون الحال لو وصل

---

(١) فقه الأولويات ، د. يوسف القرضاوي ، ص ٧٩ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ٢٠٠٠ م .

(٢) الموافقات للإمام الشاطبي ٢ / ١٤٨ط دار ابن القيم ـ القاهرة ٢٠٠٣ م ، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان .

هؤلاء الإسلاميون إلى سدّة الحكم و فّوهة السلطة وصارت مقاليد الأمر بأيديهم؟ .

(وهذا بالطبع تسبب في فقد أنصار كثيرين كانوا من الممكن أن يلتفوا حول الدعوة ويبذلوا أقصى ما عندهم. ودراسة تاريخ العمل الدعوي بسلبياته وإيجابياته مهمة جداً لاستخلاص الدروس والعبر .

ومن هنا سوف نمضي في هذا البحث ـ بإذن الله ـ لبحث قضية **[العجلة والأناة]** كأسلوبين من الأساليب المستخدمة في المجال الدعوي للنظر في الإيجابيات والسلبيات لمحاولة جادة في تذكير العاملين بالدعوة إلى الله تعالى لنستدرك ما بقى من مواقف ، ونأخذ جرعة تحصينية وقائية من خلال النظر في التجارب السابقة سواء كانت لنا أو لأسلافنا .

ولست أزعم أو أدعى أنني أول من تنبه لهذا ـ فقد تناول هذه المسألة غير واحد من أهل العلم الكبار كالشيخ القرضاوي والشيخ الغزالي و غيرهما ـ في فصول مختلفة من كتبهما عن الصحوة الإسلامية ــ ولكن حسبي أني أردت أن أذكر نفسي وإخواني وأجمع لهم عصارة ما كتب حول هذه المسألة ، مع بعض الإضافات المتواضعة ، ولله الحمد .

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة .

- **المقدمة :** فيها فكرة الموضوع وأهميته .
- **المبحث الأول :** معنى الأناة والعجلة .
- **المبحث الثاني :** الأناة والعجلة في ضوء علم النفس .
- **المبحث الثالث :** شواهد ذم العجلة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية .
- **المبحث الرابع :** صور من التعجل في عهد النبيﷺ وموقفه منها .
- **المبحث الخامس :** صور من التعجل في واقعنا المعاصر .
- **المبحث السادس :** الآثار السلبية للتعجل في الدعوة .

- **المبحث السابع :** مواقف لرجال اشتهروا بالأناة .
- **المبحث الثامن :** نصائح وتوجيهات العلماء للمتعجلين.
- ثم الخاتمة والمراجع والفهارس.

وأسأل الله تعالى أن يرزقنا الحلم والأناة ، وأن يُحسن أخلاقنا ، وأن يفتح للحق قلوبنا وأذاننا، أن يجنبنا طريق الضلال،وأن يمن علينا بحسن العاقبة والمآل، وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى الله تعالى
أبو عليّ
عماد علي عبد السميع حسين
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

XXXXX

المبحث الأول

معنى الأناة والعجلة

لكي نتمكن من مفهوم دقيق لكلمتي **(الأناة) و(العجلة)** لابد من الرجوع إلى خزائن اللغة العربية ومعاجمها ، لنعرف استخدامات كل كلمة ومدلولها .

أولاً معنى الأناة :

الأناة : أصلها من (أنى) وله معان أربعة : البطء وما أشبهه من الحلم والوقار .. قال الخليل (الأناة : الحلم ، والفعل منه تأني ، ومنه قول الكميت :

قِف بالديار وُقوف زائرٍ وتأنَّ إنَّك غيرُ صاغرِ

ومنه قول النَّبيّ - ﷺ - للذي تخطى الرقاب يوم الجمعة : .آذيت وآنيت) . يعني أخرت المجيء وأبطأت .

تقول العرب رجل (أنيّ) (وذو أناة) أي لا يعجل في الأمور . وهو (آن) أي وقور كثير الأناة والحلم ، قال النابغة :

الرفقُ يُمن والأناةُ سعادةُ فاسْتأنِ في رِفْقٍ تلاقِ نَجاحاً

والأناة : التؤدة .. يقال : تأني في الأمر : أي ترفَّق وتنظَّر وله معان أخرى منها.(الزمان ، وإدراك الشيء ، وظرف من الظروف)[1] .

والذي يعنينا ويناسبنا هنا هو المعنى الأول (البطء والحلم والرفق وعدم التعجل في الأمور) .

ثانياً :- معنى العجلة :

قال ابن منظور - رحمه الله - : (العجَلة : السرعة خلاف البطء .. يقال

---

(١) انظر لسان العرب ١ / ٢٥١ و ٢٥٠ إحياء التراث العربي ، بيروت ، ومعجم مقاييس اللغة : لأحمد ابن فارس ٧٥، ط. إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١م .

رجل عَجل ، وامرأة عَجْلى : أي متسرع ، وجمل معْجال : هو الذي يثبُ إذا ركبه الراكب قبل استوائه عليه .. والعَجُول من النساء والإبل : الوالدُ التي فُقدَ ولدها لعجلتها في جيئها وذهابها .. والعَجُول أيضاً ـ المنية : لأنها تُعجل من نزلت به عن إدراك أمله .

■ والاستعجال والإعجال والتعجل واحد : بمعنى الاستحثاث وطلب العجلة ، يقال : أعجله وعجّله تعجيلاً إذا استحثه ..واستعجل الرجل: حثه وأمره أن يعجل في الأمر .. وعَجَله : أي سبقه ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ **أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ** ﴾[الأعراف : ١٥٠] ، أي أسبقتم أمر ربكم .

والعجلة والعُجيلى : ضربان من المشي في عجلٍ وسرعة .

والعاجل والعاجلة : نقيض الآجل والآجلة في كل شيء ، والعاجلة في القرآن، : الدنيا ، والآجلة : الآخرة) [١] .

وهكذا يتضح أن معاني العجلة واشتقاقاتها تدور حول السرعة و السبق والبدار .. ونحوها وقد ورد لفظ (العجلة) في القرآن الكريم بصيغه المختلفة نحو سبع وثلاثين مرة في خمس وثلاثين آية [٢] .

وهذا يدل على مدى اهتمام القرآن بمعالجة هذا الطبع في الإنسان من جميع الزوايا كما سيتضح من خلال هذا البحث بمشيئة الله تعالى .

(ومن خلال تلك الوقفة مع معنى (الأناة) و(العجلة) يتبين أنهما خلقان أو طبعان متضادان ، فالأناة : بطء ، والعجلة : سرعة .

فالأول منهما محمود في أكثر أحواله ، والثاني مذموم في أكثر أحواله .

---

(١) انظر لسان العرب ٦٣ – ٦٥ ، مادة « عَجَلَ » .

(٢) انظر : سعود بن عبد الله الحزمي : الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ٣ / ١٢٢٧ ، ط. دار الفجر، القاهرة ٢٠٠٥م ، محمد بسام رشدي الزين : المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ٢ / ٧٨٣ ط. دار الفكر المعاصر بيروت ، دار الفكر دمشق ١٩٩٥م .

ولهذين الخلقين أثر عظيم وخطير في تكوين وبناء الشخصية الإنسانية ـ ولاسيما ـ شخصية الداعية إلى الله تعالى .

■ فالأناة يلتف ويتمحور حولها مجموعة من الأخلاق والخصال الحميدة : كالحلم والرفق والصبر والتواضع والتريث في الأمور ، ومن ثم الوقار والهيبة ، وسداد الرأي .

■ والعجلة يلتف ـ أيضاً ـ حولها مجموعة من الخصال والأخلاق الغير حميدة : كالتسرع والتهور ، والمجازفة في الحكم ، وفساد الرأي ، والغضب والتعصب .

ويرى علماء النفس والتربية : (أن الشخصية المثالية ـ صاحبة الخصال الحميدة ـ ليست متجسدة في عالم الخيال ، بل يمكن إيجادها بيسر لأن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ،هذا يدل على أن الإنسان يتمتع بالاستعداد والقدرة على بناء شخصيته بناءً مثالياً في كل زمان ومكان . . .) (١).

فينبغي أن يسعى الإنسان دائماً في تهذيب طباعه النفسية وتقويمها ، وأجدر الناس بهذا هم الدعاة ، لأنهم هم الذين يواجهون الناس وينادونهم إلى الاستقامة و تهذيب الأخلاق .

---

(١) د. محمد شلال العاني : عولمة الجريمة رؤية إسلامية ص ٦١ ، سلسلة الأمة القطرية ، عدد جمادي الأولى ، ١٤٢٦هـ .

المبحث الثاني
العجلة والأناة في ضوء علم النفس القرآني

بما أن العجلة والأناة من السلوكيات أو الطبائع النفسية، يحسن بنا أن نسلط الضوء بإيجاز حولها من زاوية علم النفس ، وخصوصاً علم النفس القرآني، لنعرف الدوافع التي تدفع المتعجل إلى العجلة ، وكيف يصبح الإنسان ذو أناة وتؤدة .

لقد فهم علماء النفس من حديث القرآن الكريم عنها أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

[١] النفس الأمارة .

[٢] النفس اللوامة .

[٣] النفس المطمئنة.

والنفس الأمارة : نفس ذات قوى ، هذه القوى يسميها علماء النفس : القوى المحركة ، ويقسمونها إلى أقسام ثلاثة :

■ **القوى الباعثة :** أي التي تبعث على الفعل وتأمر به ، وتشمل :

* **القوى الشهوانية** :كشهوة الغذاء وشهوة الجنس .
* **والقوة الغضبية** : تحقيقاً للغاية التي يراد بها الغلبة .

■ **القوى الفاعلة :** وهي التي يصدر عنها تحريك الأعضاء بمباشرة الأفعال طاعة للقوة الشهوانية أو الغضبية [١] .

■ **القوى العقلية :** وتشمل القوى التي تجعل النفس مستعدة لقبول العلوم

---

(١) القرآن وعلم النفس : للدكتور/ عبد العلي الجسماني ، ص ١١٢ ، ط. الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الأولى ١٩٩ ، بتصرف .

والصناعات الفكرية وينقسم الناس بمقتضاها إلى ذكي وبليد ومغفل ويقظ ، وكذلك القوى التي تُميز بها النفس بين الضرورات والجائزات ، وتكشف بها حقائق الأمور حتى تقمع بها اللذة العاجلة وإيثار للذة الآجلة ، ويجعلها تتحمل المكروه العاجل لسلامة الآجل فيسمى صاحبها عاقلاً من حيث إن إقدامه وإحجامه يكونان بحسب ما تقتضيه مسألة النظر في العواقب،لا بحكم الشهوة العاجلة (١) .

وعلى هذا يمكن القول بأن النفس الأمارة تأمر صاحبها بالشر والخير، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٥٣) ﴾ [يوسف : ٥٣] . وفي الاستثناء ما يدل على أنها قد تأمر بخير وذلك بتوفيق الله وهدايته لها .

قال ابن حزم ــ رحمه الله ــ :

(... وقد علمنا أن الله عز وجل ركّب في الإنسان طبيعتين متضادتين إحداهما لا تشير إلا بخير ، ولا تحض إلا على حسن ولا يتصور منها إلا كل أمر مُرضٍ ، وهي العقل ، .. والثانية : ضد لها لا تشير إلا إلى الشهوات ، ولا تعود إلا إلى الردى وهي النفس ... فهاتان الطبيعتان قطبان في الإنسان وهما قوتان من قوى الجسد الفعال ، ومطرحان من مطارح شعاعات هذين الجوهرين العجيبين الرفيعين العلويين ، ففي كل جسد منهما حظه على قدر مقابلته لهما في تقدير الواحد الصمد ـ تقدست أسماؤه ـ حين خلقه وهيأه ، فهما يتقابلان أبداً أو يتنازعان دأباً ، فإذا غلب العقل النفس ارتدع الإنسان وقمع عوارضه المدخولة ، واستضاء بنور الله واتبع العدل ، وإذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة ، ولم يصح الفرق بين الحسن والقبيح ، وعظم الالتباس ، وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة) (٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٣ ، بتصرف .

(٢) طوق الحمامة : لابن حزم الظاهري ص ١٢٢ ط المكتبة التجارية الكبرى ــ القاهرة ١٩٧٠ .

فالنفس من حيث إرادتها الخير لا توصف بأنها خيِّرة أو شريرة في مرحلتها الأولى ، وإنما هي قوة يمكن أن توجه إلى الخير كما يمكن أن توجه إلى الشر [١] .

وبناء على هذا التحليل يمكن أن نصنف العجلة ضمن القوى الغضبية الباعثة على تحقيق الغاية التي يراد بها الغلبة .

والغضب يدفع إلى التعجل لتحقيق الغايات ، وكذلك الشهوة ، وسواء كانت هذه الغايات حسنة أو قبيحة ، لأن الذي تسيطر عليه الشهوة أو الغضب لا ينظر في عواقب الأمور .

(ولما كانت النفس الأمارة ذات طبائع تنعكس في نشاطها على طبائع الإنسان كان لابد من مجاهدتها ، ومجاهدة النفس إنما هي ثمرة الإرادة ، والتمرس بالصبر والثبات والجلد وتحد المثيرات ، والتغلب على المغريات ، والوقوف منها كالصخرة الصماء الراسخة أمام الرياح العاتية [٢] .

ومما يعين على مجاهدة النفس الأمارة تهذيبها بالشرع الحنيف الذي أوضح مكنونها وأبان خبيئها ، وخاطبها تارة مرغباً : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)** ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٢٨] ، وتارة محذراً : ﴿ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)** ﴾ [الانفطار : ٣] ، ﴿ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)** ﴾ [التكوير : ١٤] .

ففي هذا القول البليغ تحذير للنفس البشرية أن تحضر شراً ، وتهييج لها من أجل أن تحضر خيراً ، والآية في سياق السورة بإيقاعها العام وحدة تخلع النفس من كل ما تطمئن إليه وتركن ، لتلوذ بكنف الله ، وتأوى إلى حماه ، وتطلب

---

(١) القرآن وعلم النفس : د/ عبد العلي الجسماني ص ١٣٧ .
(٢) انظر القرآن وعلم النفس : مرجع سابق ص ١٣٧ ، عناصر القوة في الإسلام : للشيخ السيد سابق ص ٦٦ ط دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٢ .

عنده الأمن و الطمأنينة والقرار [١] .

وهذه النفس قد تتمادى في الأمر والبعث على الخطأ ، وقد تتوقف عند حدٍّ معين وتبدأ في اللوم على ما كان ، وعندئذٍ تسمى النفس اللوامة .

■ **والنفس اللوامة :** هي التي تلوم صاحبها إن فعلت خيراً لأنها لم تستكثر منه ، وإن فعلت شراً لأنها فارقته أو اجترحته .

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ :

(إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه ، يقول : ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي ؟ وإن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه، وليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة [٢] .

(ولوم النفس هو بداية لطريق الطمأنينة ، لأن اللائم لنفسه يكون في ضيق وحرج وقلق مما قدمت ، حتى إذا استفرغت النفس جهدها في الاستغفار واستشعار التقصير يأتي دور اليقين في سعة رحمة الله فتحدث لها الطمأنينة وتستفيد من تلك التجارب فيما تستقبل من الحياة ،وقد صور الله ـ عز وجل ـ حالة النفس اللوامة وما تبلغه من الضيق والقلق في موقف الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، قال تعالى معلناً توبته عليهم وعلى أصحاب النفس اللوامة :

﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (١١٨) ﴾ [التوبة : ١١٨] .

ثم امتدح الله ـ عز وجل ـ أصحاب الأنفس اللوامة بأنهم صادقين وأمر المؤمنين جميعاً بأن يكونوا معهم ، قال تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**

---

(١) الأساس في التفسير : لسعيد حوى ١١ / ٦٣٩٣ ط دار السلام ـ القاهرة .

(٢) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٤ / ٤٤٨ ط دار النهضة ـ بيروت ١٩٩٦ .

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ [التوبة : ١١٩].

والنفس اللوامة نفس صادقة فعلاً وضمير حي يقظ ، وهي بخلاف المتمادية في الضلال التي قد ترى الحق باطلاً والباطل حقاً وتتمادى في هذا الوهم وما تفيق منه إلا على الهلاك ونزول العذاب .

■ولوم النفس وذمها من شأنه أن ينهاها عن الهوى وهو التمادي،قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] ، فإن لأهواء الأنفس سلطاناً قاهراً ، وإنه إذا لم يقم الإنسان على نفسه ناهياً ينهاها وزاجراً يزجرها عن اتباع هواها كلما دعتها دواعيه انقاد لهذا الهوى الذي يغلبه على أمره ويطرحه في مطارح الضلال والهلاك (١) .

■ولهذا رفع الله قدر النفس اللوامة فأقسم بها ، قال تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) ﴾[القيامة : ١-٢] .

■وعلى هذا فالنفس اللوامة تلوم صاحبها على تعجله في الأمور ، وتذمه، وهذا يفيد أن المتعجل ينفعه كثيراً - بإذن الله - وهو يعالج طبيعته المتعجلة أن ينظر في مواقفه السابقة أو مواقف غيره من سلفه ، ويأخذ تجربتهم ، فيتحصن بهذه الخبرات في مستقبل حياته، فيصبح بعيد النظر في عواقب الأمور ، ويعرف كيف يزنها ويوازن بين خير الخيرين وشرّ الشرين ، ساعتها ترتقي هذه النفس اللوامة إلى درجة المطمئنة ، فتتصرف في أناة وحلم وحكمة وثقة بوعد الله لا تستعجل رزقاً ولا تستعجل نصراً ولا تستعجل حصاد ثمار الأعمال ، ولا تستعجل في إصدار حكم ... وبالجملة فالنفس المطمئنة نفس كبيرة واثقة ، لا يدخلها الريب ولا الاستعجال ، ولنلقي الضوء عليها أيضاً من زاوية علم النفس القرآني ليتضح مصداقية هذا الاستنتاج .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن الكريم : لعبد الكريم الخطيب ٨ / ١٤٤٤ ط دار الفكر العربي - بيروت .

■ **النفس المطمئنة :** هي النفس الناعمة بروح اليقين ، الواثقة بفضل الله ونعمته ورحمته [١].

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ :

(المطمئنة إلى ربها، المطمئنة إلى طريقها، المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة في السراء والضراء ، وفي البسط والقبض ، وفي المنع والعطاء ، المطمئنة فلا ترتاب ، والمطمئنة فلا تنحرف ، والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق ، والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرهيب) [٢] .

■ الطمأنينة إنما هي سكون القلب إلى الشيء ، وسكون القلب يعني عدم اضطرابه وعدم قلقه ، ومنه الأثر المعروف ـ الصدق طمأنينة والكذب ريبة ـ إن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ، إذ أن سكون القلب وطمأنينته من يقينه ، واضطرابه وشكه من شكه ، الطمأنينة النفسية سكون يقويه أمن صحيح وأمان شامل صريح . . الطمأنينة سكون آمن في استراحة نفس ، وهي موجب من موجبات السكينة ، لذلك جعل علماء النفس ومنهم أبراهم ماسلو ـ مثلاً ـ جعلوا الطمأنينة حاجة إنسانية ملحة وتأتي بعد الحاجات الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والماء فتحت الشعور بالأمن صنفوا :

[١] الطمأنينة .

[٢] النظام .

[٣] الاستقرار [٣] .

(وهذه الطمأنينة التي تحصل للنفس ثمرة إيمان عميق بالله .

---

(١) القرآن وعلم النفس : لعبد العلي الجسماني ص ١٦ .

(٢) في ظلال القرآن : لسيد قطب ٦ / ٣٩٠٧ ط دار الشروق ـ القاهرة .

(٣) علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية : للدكتور عبد العلي الجسماني ص ٣٠٩ ـ ٣١٤ ط الدار العربية للعلوم ـ بيروت ١٩٩٤م ، بتصرف وإيجاز .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) ﴾[الرعد : ٢٨] .

فلا ترتقي النفس إلى هذا المرتقى إلا بعد بذل الجهد في التعرف على خالقها ـ سبحانه وتعالى ـ معرفه حقيقية ، وهذا يتم من خلال النظر في معاني أسمائه تعالى الحسنى ، (معني الرحمن ـ اللطيف ـ الخبير ـ الرقيب ـ الخالق ـ الرازق . .) وفي آيات القرآن ، وفي فعله تعالى في العباد ، والتأمل في ملكوته سبحانه ، وكذلك ترتقي النفس إلى هذا المرتقى بعد زمّها بزمام الشرع وخطمها بخطامه ، واتهامها ولومها على التقصير ، فإذا ارتقت إلى هذا واطمأنت : طرحت كل الشواغل خلفها وأقبلت على باريها ــ سبحانه ــ تذكره وتأنس بالخلوة به ـ سبحانه ـ حتى كان أحدهم عندما يكون في شغله وأنسه إذا طرقه طارق يدعوا عليه بدعاء لذيذ عجيب يقول : (اللهم من شغلني عنك فاشغله بك عني) .

وعندئذ يكون لهذه النفس مجموعة من السلوكيات والطباع التي تحل محل سلوكيات وطبائع النفس الأمارة ، ومن أهمها : الصدق والأناة والحلم والحكمة والصبر والتؤدة واليقين . . وغيرها من محاسن الخصال وحميد الطباع .

وخلاصة القول :

أن العجلة والتسرع من طبائع النفس الأمارة ، والأناة والحلم من طبائع النفس المطمئنة ، والدعاة إلى الله تعالى أحوج الناس إلى دراسة هذه الطبائع وتهذيبها في سلوكهم أولاً ، إذ كيف ينتصبون لدعوة الناس إلى ربهم ولم يهذبوا سلوكهم وطبائعهم بعد .

(بل العجيب ونحن نتحدث عن العجلة والأناة في الدعوة في ضوء علم النفس أن أطباء الصحة النفسية الآن يعتبرون أن مسألة الصحة النفسية هي

مسئولية الوعّاظ والدعاة ، حتى قال أحدهم :

(أطباء الصحة النفسية الآن هم الوعَاظ في القديم) .

قال هاري أوفر ستريت وبونارد أفرد ستريت : **(الشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية شخص مؤمن ويندر أن يكون غير ذلك)** [١] .

وهذا الشخص الذي يتمتع بصحة نفسية كانت ثمرة إيمان لا بد أنه شخص وجّهت إليه الدعوة إلى الله فاستجاب ولبّى ، فأجدر بالدعاة الذين يدعون الناس إلى الإيمان لتصح نفوسهم بالطمأنينة أن ينظروا في مقدار ما يتمتعون هم به من هذه الصحة النفسية ، لأنه بقدر ما تكون صحتهم النفسية عالية يُفيضون على غيرهم ممن يوجهون إليه دعوتهم .

الدوافع النفسية للعجلة :

هناك عدة دوافع تبعث العجلة في نفس المتعجل منها :

[١] الطابع البشري : وذلك أن العجلة من غرائز الإنسان الفطرية التي تدفعه دائماً إلى تحقيق رغباته وشهواته والتعلق بتملكها أو الحصول عيها دون أناة أو انتظار[٢] ، ويشهد لهذا ا لدافع قوله تعالى : ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ [الأنبياء : ٣٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً** ﴾ [الإسراء : ١١] أي خلق عجولاً يبادر الأشياء ويستعجل بوقوعها [٣] .

[١] ضعف الإرادة : حيث يتميز ضعفاء الإرادة بأنهم أكثر الناس استسلاماً لغرائزهم ومنها العجلة ، وهذا يجعلهم أقرب إلى التعجل في تحقيق ما تمليه

---

(١) أوفرستريت وبونارد ستريت : العقل الحي , ترجمة د / عبد العزيز القوصي والسيد محمد عثمان ص ٢٢٨ نقلاً عن القرآن وعلم النفس لعبد العلي الجسماني ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) الموسوعة الجامعة في الآداب والأخلاق : لسعود بن عبد الله الحزيمي ٣ / ١٢٣٦ ط دار الفجر ـ القاهرة .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ السعدي ص ٤٩٥ ط دار ابن حزم ـ بيروت .

عليهم غرائزهم وشهواتهم ، والاستسلام لرغبات الزوجة والأولاد .

[٣] **الانفعال والاندفاع :** وذلك أن إيمان بعض الناس بفكرة معينة قد يدفعه إلى الغفلة عن معرفة سنن الله في الأمور ، وسوء تقدير الواقع ، والحماسة والاندفاع دون هدوء وترو ، والخطأ في حساب الجوانب والعوامل الأخرى ذات العلاقة بالموضوع .

[٤] **قلة التجربة العملية :** فقلة التجربة في أمور الحياة تؤدي بصاحبها إلى الوقوع في العجلة والتسرع ، وذلك نتيجة لفهمه العابر للأمور ، وافتقاده للحكمة التي تكتسب من تجارب الحياة .

[٥] **البديهة والخواطر :** حيث تكون ردة الفعل لدى بعض الناس حسب مايجول في نفسه من خوطر أو رغبات أو ظنون ، ودون تثبت وتبين لعواقب الأمور وأبعادها (١) .

(وفي الغالب تكون هذه الدوافع وراء عجلة المتعجل ، بعضها أو كلها ، وبالطبع تزداد حدّة العجلة والاندفاع بحسب اجتماع هذه الدوافع أو تفرقها فمن اجتمعت عليه كل الدوافع كان في أعلى قمم العجلة ، وكان أعجل من السهم عن القوس ، ومن نقصت عنه الدوافع نقص مقدار تعجله شيئاً ما .

وإذا عرفت الدوافع النفسية للعجلة أمكن إعداد الجبهة لمواجهة تلك الدوافع ، وإعدادها ليس سهلاً لأن بعض هذه الدوافع متأصل في النفس متعمق فيها ، فيحتاج إلى مجاهدة وصبر ورياضة للنفس بكافة أنواع الرياضيات ، رياضة كظم الغيظ ، ورياضة الحلم ، ورياضة التخويف من عواقب الأمر ، ورياضة مخالفة هوى النفس ، .. ونحو ذلك ، وهذا يحتاج إلى صبر ــ كما سبق ــ .

مع النظر في أخبار وتجارب السابقين في ترويضهم لأنفسهم ولاسيما

---

(١) الموسوعة الجامعة في الآداب والأخلاق : مرجع سابق ٣ / ١٢٣٦ ــ بتصرف ــ وانظر : القرآن وعلم النفس : لعبد العلي الجسماني ص ١٥٠ وانظر إلى مكارم الشريعة ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

المشاهير مم عُرفوا بالأناة والحلم والدهاء والحكمة ، فكما قال ابن الجوزي في مقدمة كتابة الأذكياء : (العقول يلقح بعضها بعضاً) فرب ذكي ليس بفطرته وإنما إكتسبه من النظر من مواقف الأذكياء ، ورب حليم ذي أناة اكتسبها من النظر في مواقف أصحاب الأناة والحلم والتؤدة ، لكن المهم أن لا يُسلم المرء نفسه للطباع السيئة ويقول : (طبعي هكذا لا أستطيع تغييره) .

ليبدأ ببذل الجهد في التغيير وساعتها تتدخل القوة القادرة التي وعد صاحبها سبحانه قائلاً : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ .

[الرعد : ١١] .

وفي المبحث التالي سوف نستعرض بعض الشواهد من الكتاب والسُّنَّة على ذّم العجلة في أكثر أحوالها ، لعله أن يغري المتعجل بتركه العجلة مادامت مذمومة وعواقبها غير محمودة ، والله المستعان .

المبحث الثالث
شواهد ذم العجلة في القرآن الكريم والسنّة النبوية

لقد ورد ذمّ العجلة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية في مواضع كثيرة وأساليب مختلفة، ليدلل على أنها تنافي الحكمة، وتورد الإنسان موارد الهلكة ، أو توقفه مواقف اللوم والحرج ، والمسلم مُطالب أن ينأى بنفسه عن وقوف المواقف المحرجة أو المهلكة ، وفي هذا المبحث سوف أسوق لك بعض الشواهد على ذم العجلة .

أولاً : ذم العجلة كطبع بشري :

لقد خلق الله الإنسان وهو أعلم بما ركب فيه من الطباع والغرائز ، قال تعالى : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤) ﴾[الملك : ١٤] ، وهو أعلم أيضاً بما يصلح ويهذب هذه الطباع ، ولعل هذا بعض الحكمة في تذييل هذه الآية بقوله : ﴿ **وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ ، إذ بخبرته وعلمه يعلم أن الإنسان لو تُرك لطباعه لهلك ، وبلطفه يرشده إلى ما يصلح تلك الطباع .

■ وكان من أهم تلك الطباع البشرية التي تحتاج إلى معالجة : طابع العجلة ، وقد عبّر اللطيف الخبير في كتابه الكريم عن العجلة في الإنسان بما يوحي بتمكن هذا الطبع من الإنسان ، ففي سورة الإسراء يقول تعالى : ﴿ **وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾[الإسراء : ١١] وفي سورة الأنبياء يقول تعالى : ﴿ **خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[الأنبياء : ٣٧] .

قال الفراء : ﴿ **خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ وعلى عجل ، كأنك قلت : رُكّب على العجلة ، بِنْيَته العجلة وخِلْقته العجلة .

وقال أبو إسحاق : (خوطب العرب بما تعقل ، والعرب تقول للذي يُكثر الشيء : خُلقت منه ، كما تقول : خلقت من لعب إذا بولغ في وصفه باللعب ، وخُلق فلان من الكَيْس إذا بولغ في صفته بالكَيْس . .) .

وقال ابن جني : ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ : لكثرة فعله إياه واعتياده له[١] .

وقال الشيخ : سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

(. . فالعجلة في طبعه وتكوينه ، وهو يمد ببصره دائماً إلى ما وراء اللحظة الحاضرة،يريد ليتناول بيده، ويريد ليحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله، ويريد أن يستحضر كل ما يوعد به و لو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه ، ذلك إلا أن يتصل بالله فيثبت ويطمئن ويكل الأمر إلى الله فلا يتعجل قضاءه) [٢] .

■ والمقصود بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ **خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ هو آدم ، إذا كان آدم خلق من عجل على معنى أنه خلق عجولاً ، ووجد ذلك في أولاده ، وأورث أولاده العجلة حتى استعجلوا في كل شيء [٣] .

■ وهنا يذكر المفسرون بعض الأخبار التي يستأنسون بها لبيان العجلة في طبع آدم وبنيه ، فمن ذلك .

ما رواه ابن جرير عن عكرمة قال : (لما خلق آدم ونفخ فيه الروح صار في رأسه ، فذهب لينهض قبل أن يبلغ الروح قدميه فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل) [٤] .

■ ما رواه ابن كثير عن مجاهد قال : (خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر

---

(١) قول الفراء وأبو إسحاق وابن جني أوردهم ابن منظور في لسان العرب ٩ / ٦٥ .

(٢) في ظلال القرآن ٤ / ٢٣٧٩ ط دار الشروق ــ القاهرة .

(٣) الواحدي النيسابوري : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣ / ٢٣٧ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ١٠ / ٦٢٢٣ ط دار الفكر ــ بيروت ٢٠٠١ .

النهار من يوم خلق الخلائق ، فلما أحيا الروح عينه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال : يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس) [١] .

وغير ذلك من الروايات التي تدور في نفس الفلك ، وكما هو واضح أنها من حديث بني إسرائيل الذي لا يُصدق و لا يكذب ، ولكن يكفي المؤمن الحق في معرفة أن العجلة طبع بشري مذموم قول ربنا عز وجل : ﴿ **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ و ﴿ **كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)** ﴾ [القيامة : ٢٠] .

وقد يقول قائل : كيف يخلق الله الطبع في الإنسان ثم يذمه ؟ .

والجواب : هو أن الله تعالى قد يخلق الطبع في الإنسان معوجاً ، ثم يرسل له من الوحي وأسباب الهداية ما يقوم به العوج ، بحيث تكون هذه الجبلة على هذا الطبع مناطاً للاختبار والامتحان .

قال الإمام الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ :

(وقد يقال : كون الإنسان مخلوقاً من العجل يناسب كونه معذوراً فيه ، فلم رتب على هذه المقدمة قوله : ﴿ **فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ ؟ قلنا : لأن العائق كلما كان أشد ، كانت القدرة على مخالفته أكمل ، فكأنه سبحانه نبه بهذا إلى أن ترك الاستعجال : حالة شريفة عالية مرغوب فيها) [٢] .

ولو كان الإنسان سليماً من تلك الطباع والغرائز كالملائكة كان هناك وجه لتفضيله على الملائكة عندما يهذب تلك الغرائز ، فالمقطوع به أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة لأن الملائكة ليس فيهم ما في البشر من غرائز وشهوات ، فإذا قهر البشر تلك الغرائز و هذبوها بهدى الله كانوا أفضل من الملائكة [٣] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٣ / ١٧٤ ط دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٩٦ .
(٢) مفاتيح الغيب : للفخر الرازي ٢٢ / ١٧١ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠٢ .
(٣) انظر تفصيل المسألة في : عالم الملائكة : للدكتور / عمر الأشقر ص ٩١- ٩٦ ط دار النفائس ـ الأردن

ثانياً : ذمّ استعجال الرزق :

لقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان على أن الرزق مضمون على الله الذي تكفل بأرزاق كل خلقه وليس الإنسان فقط ، ولكن في سياقات لا يفهم منها التواكل أو الركون انتظاراً للرزق الذي يطرق الأبواب ، أو السماء التي تمطر ذهباً وفضة ، وإنما في إطار يشمل الأخذ بالأسباب والسنن مع الثقة فيما عند الله الذي عنده مفاتيح الغيب ، ولا ينفد ما عنده برغم جوده وعظمة عطائه .

- يقول تعالى :﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦)** ﴾ [هود : ٦] .
- يقول تعالى :﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)** ﴾ [الذاريات : ٢٢] .
- يقول تعالى :﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (١٠)** ﴾ [الأعراف : ١٠] .
- يقول تعالى :﴿ **وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)** ﴾ [الحجر : ٢٠ - ٢١] .
- يقول تعالى :﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)** ﴾ [الملك : ١٥] .
- ويقول تعالى لمن يكره كثرة الأولاد خشية الفقر وقلة الرزق :﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ﴾ [الإسراء : ٣١] .
- ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

(وفي السُّنَّة المباركة - أيضاً - أحاديث كثيرة تؤكد ضمان الرزق وتنهى عن استعجاله ، من ذلك :

ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : (**لا تستعجلوا**

الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له ، فأجملوا في الطلب ، أخذ الحلال وترك الحرام) (١) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه الأجل** » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لو فرّ أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه الموت** » (٣) .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : (**قام النّبيّ ﷺ فدعا الناس فقال : هلموا إليّ فأقبلوا إليه فجلسوا فقال : هذا رسول رب العالمين : جبريل ، نفث في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فإن الله لاينال ما عنده إلا بطاعته**) (٤) .

وبرغم هذه الضمانات إلا أن الإنسان قد يتعجل في طلب الرزق ، وسبب ذلك :

[١] ضعف اليقين والثقة في الله سبحانه وتعالى .

[٢] الحرص وخوف فوات الرزق .

[٣] كثرة النظر إلى ما أنعم الله به على الآخرين لحكمة يعلمها هو سبحانه .

---

(١) أورده الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٣١٠ (ط مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٢١ هـ) وقال : (رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرطهما) .

(٢) أورده الشيخ الألباني صحيح الترغيب ٢ / ٣١٠ ورمز إليه بانه صحيح لغيره ، ثم قال : أخرجه ابن حبان في صحيحه والبزار

(٣) صححه الألباني في صحيح الترغيب ٢ / ٣١٢ ورمزه بأنه حسن لغيره ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد حسن (

(٤) صححه الألباني في صحيح الترغيب ٢ / ٣١٢ ورمزه بأنه حسن صحيح ، وقال : (رواه البزار ورواته ثقات) .

هذه العجلة لها خطورتها : فقد توقع المتعجل في الحرام ، فتمتد يده إلى مالا يحل ، إذ أن المرء حينما يتعجل الرزق قد لا يبالي بأي طريق يحصل على رزقه فربما يقتل ، وربما يسرق، وربما يختلس، وربما يرتشي ، وربما يأكل الميراث ، وبما يستحل الربا ، وربما يغش ويغبن . . .

مع أنه لو تيقن وعلا مؤشر الإيمان في قلبه لعلم أن ما تعجله من الرزق فأخذه حراماً قد سبق في تدبير الله أنه له من حلال ، ولكنه تعجله فأخذه من حرام .

وقد روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتى المسجد ليصلي ، وأراد أن يترك دابته خارج المسجد ، فوجد غلاماً فتركها له ، فلما صلى وانصرف إذا بالغلام قد خلع خطام الدابة وتركها ، فبعث أمير المؤمنين رجلاً في أثره إلى السوق لعله يجد الغلام وهو يبيع الخطام ، فوجده الرجل فعلاً قد عرضه للبيع ، فاشتراه منه بدرهم ، فلما عاد إلى أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قال : سبحان الله ، لقد عزمت على أن أعطي الغلام درهماً حلالاً فتعجل فأخذه حراماً) .

(وقد عالج الوحي الإلهي داء استعجال الرزق بعلاج ناجح وشافٍ ، فقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ .

[الطلاق : ٢-٣] .

وقد سبق قوله ﷺ :«**اتقوا الله وأجملوا في الطلب ،ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله ، فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته** » [1] .

ووجه الأنظار إلى بعض سبب داء استعجال الرزق ، وهو النظر إلى ما في أيدي الآخرين ، فنهى عند ذلك قال تعالى : ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ**

(١) سبق تخريجه .

بالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (٣٢) ﴾
[طه : ١٣١ – ١٣٢] .

قال الشيخ / السعدي ـ رحمه الله ـ :

(في هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا وإقبالاً عليها ، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه ، وأن يوازن بين هذا وهذا .. ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق ، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه فقال : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ أي رزقك علينا ، قد تكفلنا به كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم ، فيكف بمن قام بأمرنا واشتغل بذكرنا ؟ ..) [١] .

ثم يبين الحق تعالى للمتعجل الرزق أن ما يستعجله قد يكون فيه هلاكه ، فإن من يغتر المتعجل بما عندهم من الرزق ليسوا هانئين ولا منعمين ، قال تعالى : ﴿ وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) ﴾[التوبة : ٨٥] .

(أي لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد ، فليس ذلك لكرامتهم عليه ، وإنما ذلك إهانة منه لهم .. فيتعبون في تحصيلها ، ويخافون من زوالها ولا يتهنؤن بها ..) [٢] .

وأحق الناس أن لا يتعجلوا الزرق هم الدعاة إلى الله ، الذين يعظن الناس ويطفئون نار العجلة في الناس وهي تحرق أجسادهم ، ولا تحسبن الكلام عن استعجال الرزق أمراً ليس له صلة بالدعاة ، فإن استعجال الرزق إذا تمكن من الداعي شغله عن دعوته ، وربما حمله هذا الاستعجال على المتاجرة بدعوته ، فيسترضى ويستجدي .. ويشتري بآيات الله ثمناً قليلاً ، ونسأل الله العافية .

---

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٨٩ط دار ابن حزم ١٤٢٥ هـ .
(٢) تيسر الكريم الرحمن ص٣٢٤ .

وانظر إلى سيد الدعاة والخلق أجمعين ﷺ وهو يقول : « **ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته : بسم الله علي نفسي ومالي وديني ، اللهم أرضني بقضائك وبارك لي فيما قدر لي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت** » (١) ، « **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً** » (٢) ، وفي رواية « **كفافاً** » (٣) .

ثالثاً : ذم استعجال إجابة الدعاء :

إن الدعاء عبادة من أعظم العبادات التي يتضرع بها العبد لربه سبحانه ، أمرنا الله سبحانه وتعالى بها : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

والعبد وهو يؤدي عبادة الدعاء ويتزلف بها إلى ربه قد يداخله الاستعجال ، فيتعجل أن يرى إجابة دعائه ، وهو التعجل فد نهى عنه النَّبيّ - ﷺ - أيّن أنه قد يكون سبباً في عدم الإجابة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي**) (٤) .

وفي رواية لمسلم : (**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل** . قيل : يارسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال : **يقول : دعوت ، وقد دعوت ، فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك - أي ينقطع - ويدع الدعاء**) (٥) .

---

(١) كنز العمال للهندي برقم (٩٣٢٣) وعزاه لابن السني ولأبي نعيم .

(٢) رواه الترمذي ، وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم ١٦٣٢ .

(٣) قال العلماء في حد الكفاف : أن يشبع يوما ويجوع يوماً .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم برقم (٢٧٣٥) ك الذكر والدعاء . . ، باب بيان أنه يستجاب للداعي مالم يعجل .

فاستعجال الإجابة كما رأينا قد يؤدي إلى الانقطاع عن تلك العبادة العظيمة، والانقطاع عنها يؤدي إلى قسوة القلوب ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[الأنعام : ٤٣] .

وقد بيّن النبي ﷺ أنه لا داعي لعجلة المتعجل ، فالدعاء متى استوفى شروطه مجاب بإذن الله ، ولكن صور الإجابة مختلفة ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم** ، فقال رجل من القوم : إذا نكثر ـ أي من الدعاء ـ **قال : الله أكثر**) [١] ، وفي رواية (**أو يدخر له من الأجر مثلها**) [٢] .

وللأسف فإن المتعجل في إجابة الدعاء غالباً يكون دعاؤه غير مستوف للشروط اللازمة للإجابة ، وبدلاً من أن يلوم نفسه ويرد إبطاء الإجابة إلى تقصير في نفسه ، يلوم ربه ـ والعياذ بالله ـ أو يُعرض عن عبادته وينقطع عن الدعاء ، فيضر نفسه ولا يضر الله شيئاً .

والدعاة إلى الله تعالى يتعرضون كثيراً للضرورات بحسب وعورة طريقهم فيدعون الله خالقهم ، فيحسن بهم أن لا يتعجلوا إجابة دعائهم فإن الله إن أخر نصر دينه الذي يتمناه الدعاة ويدعون به فإن لحكمة يعلمها ويريدها سبحانه ولا بد من نفاذها .

---

(١) الترمذي برقم (٣٥٨٢) ك الدعوات ، باب في انتظار الفرج وغير ذلك ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٥٧٣) .

(٢) الأدب المفرد للبخاري برقم (٧١٣) ص ١٨٩ ، (١٩٠) ، وفي المسند لأحمد برقم (١١١٤٧) ٣ / ١٨ وقال محقق الأدب المفرد (أحمد عبد الرازق البكري) صحيح الإسناد ص ١٩٠ بالهامش.

رابعاً: ذم استعجال الموت :

لقد وردت أحاديث كثيرة ينهى فيها النَّبيّ ﷺ عن استعجال الموت وتمنيه، لأن الحياة مزرعة للآخرة ولا يتمنى انقضاء فترة هذه المزرعة إلا مزارع فاشل ، اعتراه اليأس ولحقه القنوط فاستعجل انقضاء الحياة ،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب** » [١] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا ، لكن ليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي** » [٢] .

ولكن هذا لا يعني كراهية الموت أو الانزعاج منه ، فإن هذا من أسباب الوهن ، ولكنهم كانوا يحبون الموت ليس استعجالاً لإنهاء الحياة ، وإنما للتضحية التي لا تتوقف عند حدّ ، وهناك فروق واضحة بين من يستعجل الموت يأساً وبين من يحبه تضحية ، فالمستعجل يأساً تعلو وجهه غبرة اليأس وكدره ، ويتخلص من حياته بلا ثمن ، ربما بحديدة يقتل بها نفسه أو أن يخنق نفسه ونحو ذلك .

أما الذي يحب الموت للتضحية في سبيل الله فإنه مستبشر بما عند ربه ، أحسن لنفسه فلم يبعها إلا بأغلى ثمن ألا وهو الجنة ، ولذلك كان قادة الجيوش الإسلامية إبان الفتح يوجون الرسالة إلى العدو بعد الدعوة إلى الإسلام قائلين : « ... وإلا جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

---

(١) الألباني : صحيح سُنن النسائي برقم (١٨١٧) ك الجنائز ، باب تمني الموت ، ط مكتبة المعارف ، الرياض ١٩٩٨ .

(٢) صحيح سُنن النسائي برقم (١٨١٩) ك الجنائز ، باب تمني الموت .

وربما ثبت عن النَّبيّ ﷺ لأنه يجوز تمنى الموت عند الفتن وشيوعها كما في الحديث : (... **إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**) ، فهذا كما هو موضح في السياق مشروط بالفتن ، (**إن أردت بعبادك فتنة**) . فلأن تنتهي الحياة خير من الوقوع في فتنة قد لا يثبت الإنسان لها ، ولا يُعكر هذا الحديث على الأحاديث الواردة في ذم استعجال الموت .

(وإذا كان ـ الابتلاء ـ سُنَّة الله في الحياة عامة، وفي الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضاً لنكبات الدنيا وويلاتها ، إنهم يدعون إلى الله فيحاربهم دعاة الطاغوت، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر،ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر.. وبهذا يحيون في دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، سُنَّة الله الذي خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود ، وموسى وفرعون، ومحمد وأبا جهل.. ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً** ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، هذا شأن الأنبياء ، وشأن ورثتهم والسائرين على دربهم ، والداعين بدعوتهم) [١] .

فليصبر الدعاة على ما يلقون من البلاء والمحن ولايستعجلوا انقضاء الحياة ، وليستمعوا إلى ابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو يناديهم مغلظاً في القول صادقاً في النصح :

(يامخنث العزم : الطريق تعب فيه آدم ، وناح فيه نوح ، وأُلقى في النار إبراهيم ، وتعرض للذبح إسماعيل ، ونُشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ..) .

---

(١) د / يوسف القرضاوي : الإيمان والحياة ص ١٨٤ ، ١٨٥ ط مكتبة وهبة ـ القاهرة ٢٠٠٤ .

خامساً : ذم استعجال العقوبة :

إن ما ينزل بالمؤمن من البلاء غالباً يكون كفارة لذنوبه أو رفعاً لدرجته ، ولقد أراد النّبيّ ﷺ أن يُصَبّر أتباعه على ما ينزل بهم وبيّن أنه من حب الله للعبد فقال : « **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي يوم القيامة** » [١] .

ولكن هذا لا يعني أن يسأل العبد ربه تعجيل العقوبة ،كمن قالوا : ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ** ﴿١٦﴾ ﴾ [ص : ١٦] ، ولقد سمع النّبيّ ﷺ رجلاً من أصحابه يقول : (اللهم ما أنت معذبي به في الآخرة : فعجله في الدنيا ، فقال النّبيّ ﷺ : (**سبحان الله إنك لا تسطيعه ـ أو لا تستطيعوا ـ ، ألا قلت اللهم أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار...**) [٢] .

فهكذا ينبغي ألا يستعجل العبد العقوبة لأنه لا يتحملها ، وإنما أفضل له أن يسأل ربه العفو والصفح والمغفرة ، فهو سبحانه أهل لها جميعاً ، وقد علّمنا ﷺ أن يقول : (**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت عل نفسك**) [٣] .

سادساً : ذم استعجال العذاب :

إن استعجال العذاب شأن الكافرين ، لأنهم مكذبون بوعيد الله ـ عز وجل ـ الذي كان يخبرهم به أنبياء الله ورسله ، ولذلك نجد أكثر الأقوام استعجلوا العذاب ، ها هو لوط عليه السلام يعظ قومه فيكذبونه ويستعجلون العذاب كما قال

---

(١) الترمذي برقم (٢٤٠١) ك الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦) وفي الصحيحة برقم (١٢٢٠) .

(٢) الأدب المفرد للبخاري برقم (٧٢٨) وقال المحقق (صحيح الإسناد) ص (١٩٤) .

(٣) صحيح ابن خزيمة رقم (٦٧١) ، (١/٣٣٥) .

تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩] .

وأصحاب الأيكة لما دعاهم شعيب عليه السلام قالوا له : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) ﴾ [الشعراء :١٨٧]، وما أكثر ما قال أهل العجلة وهم يستعجلون العذاب :﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١).

وأما أهل مكة فكان لهم شأن آخر في استعجال العذاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) ﴾ .

[العنكبوت : ٥٣-٥٤] .

وقال تعالى أيضاً ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) ﴾ [الحج : ٤٧] .

(ومع ذلك فقد كان القرآن الكريم يتنزل بتوجيهات تحذر هؤلاء المكذبين من استعجال العذاب ، فتارة يبين لهم أن ما حاق بالمكذبين من قبل سيحيق بهم فلا داعي للعجلة : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) ﴾ [الذاريات : ٥٩] .

■ وتارة يخاطبهم بالإقناع والاستمالة : لماذا تستعجلون العذاب : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ﴾ [يونس : ٥٠ – ٥١] .

■ وتارة يبين لهم أنه لا يعجل لهم العذاب لعجز عنه ، وإنما لحلمه ورحمته ورجاء أن يعودوا إليه : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ

---

(١) وردت هذه الآية بهذه الصيغة في ستة آيات في القرآن الكريم ، كالآتي :
[الملك : ٢٥ ، يونس : ٤٨ ، النمل : ٧١ ، يس : ٤٨ ، الأنبياء : ٣٨ ، سبأ : ٢٩].

الْعَذَابَ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً (٥٨) ﴾ [الكهف : ٥٨] .

وهكذا أوردت العجلة أهلها موارد الهلكة ، وكان أجدر بهم أن يكفوا عن هذا الطلب الذي تعجلته أمم قبلهم فحلّ بهم العذاب وأن يشكروا الله على حلمه عليهم وإمهاله لهم ، ولكن العجلة أعمتهم عن التبصر فكانوا من المهلكين .

سابعاً : ذم استعجال هلاك الكافرين :

الإسلام منهج الله عز وجل إلى خلقه ، ويعلم حملته الحلم حتى على المخالفين ، رجاء أن يتوبوا ، أو أن تقام عليهم الحجة بإمهالهم ، لذلك يقول الله لنبيه ﷺ ﴿ **فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)** ﴾ [مريم : ٨٤] .

وقال أيضاً : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** ﴾ .

[الأحقاف : ٣٥] .

قيل هذا الكلام لمن كان يقول كلما لحقه قومه بالأذى (**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**) ، وعندما آذاه أهل الطائف وقال له جبريل إن معي ملك الجبال ولو شئت أن يطبق عليهم الأخشبين لفعل فقال : « **لا ، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده** » [١] .

وهذا يعني أن الداعية ينبغي أن لا يقطع الرجاء من توبة أي إنسان ، من ثم لا يتعجل هلاكه .

ثامناً : النهي عن مسايرة أهل العجلة :

المؤمن الذي يعرف طريق ربه ثابت لا يداخله شك ولا ريب ، ومن ثم لا يعجل فهو واثق بتحقيق وعد الله وإن تأخر ، لذلك مهما يرى من تعجل أهل الشك والريب لا يضره ذلك ، ولقد نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن مسايرة

---

(١) البخاري برقم (٥٩) ك بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين ... ، ومسلم برقم (٢٣) ك الجهاد والسير .

أهل العجلة ، قال تعالى : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ⦗٦⦘ ﴾ [الروم : ٦] .

(أي لا يحملنك يا محمد على الخفة والجهل والطيش بترك الصبر ولا يستفزنك عن دينك وما أنت عليه ...) [١] .

وقال الإمام النسفي ـ رحمه الله ـ :

(أي لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب ، أو لا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم ضُلال شاكون لا يُستبعد منهم ذلك) [٢] .

وقال الشيخ / وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ :

(نهى الله نبيه ﷺ عن الانفعال والاهتزاز لكلام المشركين أو التحرك واضطراب النفس لأقوالهم إذ هم لا يقين لهم ولا بصيرة ، فلا يحملنك شيء على الخفة والطيش والقلق .. وإذا كان هذا الخطاب بالصبر موجهاً للنبي ﷺ فالمراد به أمته ، فعلى الأمة أن تصبر في تبليغ الدعوة الإسلامية لكل أمم الأرض تثبت في بيان أصول الإيمان ، لأن حبل الخير متصل دائم إلى يوم الفيامة ، وحبل الخير لا يكون إلا بجهود الدعاة إلى الله ...) [٣] .

فليحذر الدعاة من مسايرة المتعجلين ، ولو كانت مسايرتهم بنية حسنة .

تاسعاً : اللوم على الاستعجال ولو لهدف سام :

العجلة هي العجلة ولو كانت لهدف سام ، فلقد لام الله تعالى ـ موسى عليه السلام ـ عندما تعجل وفارق قومه لما خرج بهم ، وما كان هذا إلا شوقاً للقاء ربه

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن : لصديق حسن خان ٧ / ٢٧٢ ط دار الفكر العربي

(٢) تفسير النسفي ٣/٤٢ ط دار النفائس ـ بيروت ١٩٩٦

(٣) التفسير الوسط :للشيخ/وهبة الزحيلي ٣ / ٢٠١٤،٢٠١٥ ط دار الفكر سوريا ولبنان ٢٠٠١ م .

تعالى وتطلعاً لمناجاته والمثول بين يديه سبحانه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) ﴾ [طه : ٨٣ – ٨٥] .

قال الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها ، من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظيم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم ، ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي ﴾ أي ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم على بعض ، ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك [١] .

وقال الشيخ / الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ :

(والاستفهام مستعمل في اللوم والذي يؤخذ من كلام المفسرين وتشير إليه الآية أن موسى تعجل مفارقة قومه ليحضر إلى المناجاة قبل الإبان الذي عينه الله له، اجتهاداً منه ورغبة في تلقي الشريعة حسبما وعده الله ، قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور ، ولم يراع في ذلك إلا السبق إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه، فلامه الله على أن غفل عن مراعاة ما يحف بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذرهم مكر من يتوسم فيه مكراً) واعتذر عن تعجله بأنه عجل إلى استجابة أمر الله مبالغة في إرضائه ، فقال تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ ﴾ فيه ضرب من الملام على التعجل بأنه تسبب عليه حدوث فتنة في قومه ليعلمه أن لا يتجاوز ما وقت له ولو كانت الرغبة في

---

(١) تفسير البيضاوي ٤ / ٦٤ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٦م .

الازدياد من الخير . . .) [١] .

ولك أن تقدر خطورة الأحداث التي ترتبت على هذه العجلة : كَفَرَ القوم وارتدوا عن دين الله وعبدوا العجل ، وأنظر مقدار الغضب والانفعال الذي لحق نبي الله موسى عليه السلام لما رجع ، ألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه ولحيته يجره ويعاتبه ، ثم قصة توبة بين إسرائيل والتي اشترط فيها أن يقتلوا أنفسهم . . وغير ذلك مما يؤكد خطورة العجلة حتى ولو كانت في طاعة الله تعالى .

عاشراً : النهي عن العجلة ولو بالقرآن :

كان النَّبيّ ﷺ عندما ينزل عليه الوحي يتعجل بتحريك شفتيه ولسانه يردده ويكرره ليثبت ، خشية أن يتفلت ، فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال :

﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** (١١٤) ﴾ .

[طه : ١١٤] .

﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** (١٦) **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** (١٧) ﴾ .

[القيامة : ١٦ – ١٧] .

أي لا تحرك بالقرآن لسانك . . .لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك [٢] .

قال الشيخ / محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ :

(العجلة أن تخرج الحدث قبل نضجه ، كأن تقطف الثمرة قبل نضجها وقبل أوانها ، وعند الأكل تفاجأ بأنها لم تستو بعد . . فنهاه الله تعالى عن هذه العجلة ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ** ﴾ أي لا تعجل ولا تنشغل بالتكرار والترديد ، فسوف يأتيك نضجها حين تكتمل ، فلا تخش أن يفوتك شيء منه طالما أننا تكفلنا بحفظه . . فاطمئن ولا تقلق على هذه المسألة ، لأن شغلك بحفظ كلمة

---

(١) تفسير التحرير والتنوير : للطاهر بن عاشور ١٦ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ط دار سحنون – تونس .
(٢) فتح القدير : للشوكاني ٥ / ٤٤٢ ط مؤسسة الريان ــ بيروت ١٩٩٦ .

قد يُفوت عليك أخرى) [١] .

وليس هذا النهي عن التعجل إبان نزول الوحي فقط ، وإنما على الدوام فقد ثبت أنه ﷺ نهى عن ختم القرآن في أقل من ثلاث ليال . لأن المتعجل المسرع في القراءة محروم من التدبر أو الفهم كما أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ واللحن لعجلته وانشغاله بالقراءة السريعة .

وبعد :

فهذه عشرة شواهد تشهد بذم العجلة في أكثر أحوالها ، ذمها كطبع بشري ، وذمها في استعجال الرزق ، وذمها في استعجال إجابة الدعاء ، وذمها في استعجال الموت . وذمها في استعجال العقوبة حتى ولو كانت بنية البراءة من الذنوب ، والنهي عن مسايرة أهل العجلة ، واللوم على الاستعجال ولو في لقاء الله تعالى ، والنهي عن العجلة ولو بالقرآن .

وسنعرض في المبحث القادم مجموعة من الصور والنماذج للتعجل في عهد النّبيّ ﷺ وكيف كان موقفه منها ، لنقتدي به ﷺ في مواجهة العجلة وإصلاح الآثار التي قد تنتج عنها .

---

(١) تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي ١٥ / ٩٤١٠ ط أخبار اليوم ــ القاهرة .

المبحث الرابع

صور من التعجل في عهد النبيّ ﷺ وموقفه منها

■ في هذا المبحث سوف نستعرض مجموعة من الصور و المواقف التي قد يبدوا فيها شيء من التعجل في عهد النَّبيّ ﷺ وكيف كان موقفه منها .

■ وسأحاول أن تكون هذه الصور والمواقف من كافة المراحل التي مرت بها الدعوة إلى الله . وفي شتى الجوانب لنستجلي موقف النَّبيّ ﷺ من العجلة في كل شيء ونأخذ من ذلك القدوة والأسوة والمنهج الذي نحتذي به إن شاء الله .

ومجمل هذه الصور والمواقف فيما يلي :

[١] تعجل الفرج في فترة الاضطهاد (٤ – ٧) من البعثة .

[٢] روس في الأناة وضبط النفس من موقف الحصار في شعب أبي طالب

[٣] تعجل القتال قبل فرضه .

[٤] تعجل الرماة في يوم أحد لجمع الغنائم .

[٥] عجلة بعض الصحابة في الاعتراض على صلح الحديبية .

[٦] عجلة خالد بن الوليد في قتل بني جذيمة .

[٧] تعجل بعض نساء النَّبيّ ﷺ متاع الدنيا .

[٨] تعجل بعض الصحابة في مواجهة المنافقين .

[٩] تعجل عمر بن الخطاب في موقفه من حاطب يوم الفتح .

[١٠] الأناة مع الأعراب وعدم التعجل عليهم .

وإلى العرض والتفصيل في الصفحات الآتية .

[١] تعجل الفرج في فترة الاضطهاد (٤ - ٧) من البعثة :

لقد تحمل النبي ﷺ وأصحابه الكرام في تلك الفترة من ألوان التعذيب والاضطهاد مالا تتحمله الجبال الراوسي، فقد أمعنت قريش في تعذيب كل من آمن بمحمد ﷺ وخصوصاً المستضعفين منهم، وتحت وطأة التعذيب ربما كان بعضهم يأتي النَّبيّ ﷺ فيشكو له ويطلب منه الدعاء بالفرج ، فكان يصبرهم ويأمرهم بألا يستعجلوا .

وسأذكر لك صورة مجملة عن التعذيب[١] الذي كان يعانيه الصحابة رضي الله عنهم حتى تعرف أخي الحبيب الفارق بين استعجالنا واستعجالهم (كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنَّبه وأخزاه وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال والجاه ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به ، وكان عمَ عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته ، ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته ، وكان من أنعم الناس عيشاً ، فتخشف جلده تخشف الحية) [٢] .

---

(١) حدث هذا التعذيب بأيدي المشركين ، فاقرأ عما حدث بأيدي أناس يدعون الإسلام ، ذكر الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ في قذائف الحق في (ذكريات معتقل) طرفاً مما رأى من صور التعذيب في المعتقلات : (وفيها أنه ربما كان يسكب على المعتقل مادة مشتعلة وتشتعل فيه النار ثم يطفأ حتى لا يموت ولكن ليشعر بألم الحرق ، وكان من الصور أيضاً تخليع بعض الأعضاء كأن تقلع الأظافر بآلات حديد وتخلع فروة الشعر من الرأس ، أو اللحية أو كليهما ، وقد يوضع المعتقل على صليب من خشب يسمونه (العروسة) فيصلب عليها ثم يجلد بالكرابيج ، والأدهى والأمر والذي لم يفعله أو بجهل هو أن يعذب هؤلاء المؤمنون بفعل الفاحشة فربما أُجبر المعتقلون على فعل الفاحشة ببعضهم أو فُعِلَ بهم ، وربما كان يؤتى ببنت الرجل أو زوجته ليعبث بها الجنود ويفعلوا بها) . انظر قذائف الحق ص ١٦ ـ ١٢٨ ط دار القلم ـ سورية ٢٠٠٢ .

قلت : ان أبا جهل وهو يعذب سُمية أم عمار لم بفكر في أن يفعل بها وإن كان ـ عليه لعنة الله ـ قد طعنها في ملمس عفتها بحربته فقتلها، ولكن هؤلاء فعلوا ما لم يفعله أبو جهل !! ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) انظر الرحيق المختوم في سيرة سيد المرسلين حتى ٨٩ دار المؤيد للنشر والتوزيع ـ الرياض ٢٠٠٢ .

وكان بلال مولى أمية بن خلف الجمحي ، فكان أمية يضع في عنقه حبلاً ، ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به في جبال مكة ، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه ، وكان أمية يشده شداً ثم يضربه بالعصا ، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس ، كما كان يكرهه على الجوع ، وأشد من هذا كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك : أحد أحد ، حتى مرَّ به أبو بكر يوماً وهم يصنعون ذلك فاشتراه وأعتقه [١] .

(وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه مولى لبني مخزوم ، أسلم هو وأبوه وأمه ، فغضب عليهم مواليهم بنو مخزوم غضباً شديداً وصبوا عليهم العذاب صباً ، حتى كانوا يخرجونهم إذا حميت الظهيرة فيعذونهم برمضاء مكة ويقلبونهم ظهراً لبطن فيمر عليهم الرسول ﷺ وهم يعذبون فيقول : «**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**» ، وجاء أبو جهل إلى سمية فقال لها : ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله ، فأغلظت له القول فطعنها بحربة في ملمس عفتها فماتت ، فكانت أول شهيدة في الإسلام ، ومات ياسر ـ أيضاً ـ تحت التعذيب [٢] .

(وكان خباب بن الأرت رضي الله عنه مولى لأم أنمار بن سباع الخزاعية ، فكان المشركون يذيقونه أنواعاً من التنكيل يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً ويلوون عنقه تلوية عنيفة ، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة ثم وضعوا عليه حجراً حتى لا يستطيع أن يقوم ، وكانت مولاته أم أنمار تأخذ حديدة

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١٧ ، ٣١٨ ، رحمة للعالمين ١ / ٥٧ ، الرحيق المختوم ص ٩٠ .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١٩ ، ٣٢٠ ، محنة المسلمين في العهد المكي : د / سليمان السويكت ص ٩٩ ، السيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٧٠ .

فتحميها في النار ثم تضعها على رأسه) [١] .

وكان المشركون يلفون بعض الصحابة في أهاب الإبل والبقر ثم يلقونه في حر الرمضاء ويلبسون بعضاً آخر دروع الحديد ثم يلقونه على صخرة ملتهبة ، وقائمة المعذبين في الله طويلة ومؤلمة جداً ، فما أحد علموا بإسلامه إلا تصدوا له وآذوه .

هذه صورة موجزة ولو استنطقت كتب السيرة بأكثر من هذا لأجابتك ، وبرغم هذا لما قال ياسر ـ والد عمار ـ عندما مر به النَّبيّ ﷺ وهو تحت وطأة التعذيب :

(يا رسول الله : الدهر هكذا ؟ كأنه يشكو ما هم فيه ـ فقال له النَّبيّ ﷺ اصبر ، اللهم أغفر لآل ياسر وقد فعلت) وفي رواية (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) [٢] .

وعندما جاء خباب بن الأرت ـ وقد ازداد ضغط المشركين على ضعفاء المسلمين ، ولقوا منهم شدة ـ إلى النَّبيّ ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقال له : (ألا تدعوا الله ؟) ، فقعد الرسول ﷺ وهو محمر الوجهه، قال : « **كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق باثنين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ولا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون** » [٣] .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ٤٧٩ ، الرحيق المختوم ص ٩٠ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) انظر : صحيح السيرة النبوية : لإبراهيم العلي ص ٩٨ دار النفائس ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٧١ .

(٣) صحيح البخاري : برقم ٣٦١٢ ك المناقب .

قال الشيخ : سلمان بن فهد العودة ـ حفظه الله ـ معلقاً على هذا الموقف :

(يا سبحان الله ماذا جرى حتى احمر وجه المصطفى ﷺ وقعد من ضجعته؟ وخاطب أصحابه بهذا الأسلوب القوي المؤثر ، ثم عاتبهم على الاستعجال ؟ .

- لأنهم طلبوا الدعاء منه ﷺ .
- كلا : حاشاه من ذلك وهو الرؤوف الرحيم بأمته .
- إن أسلوب الطلب : ألا تدعوا لنا ؟ ألا تستنصر لنا ؟ يوحي بما وراءه وأنه صادر من قلوب أمضها العذاب ، وأنهكها الجهد ، وهدتها البلوى ، فهي تلتمس الفرج العاجل ، وتستبطئ النصر فتستدعيه ، وهو ﷺ يعلم أن الأمور مرهونة بأوقاتها وأسبابها ، وأن قبل النصر البلاء ، فالرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة .

﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [يوسف : ١١٠] .

ويلمس ـ عليه السلام ـ من واقع أصحابه وملابسات لأحوالهم ، برمهم بالعذاب الذي يلاقون ، حتى يفتنون عن دينهم ، ويستعلي عليهم الكفرة ويموت منهم من يموت تحت التعذيب ، وقد لا يكون من الميسور أن يدرك المرء بمجرد قراءة النص حقيقة الحال التي كانوا عليها حين طلبوا منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الدعاء والإستنتصار ، ولا أن يعرف المشاعر والإحساسات التي كانت تثور في نفوسهم ، إلا أن يعيش حالاً قريباً من حالهم ، ويعاني في سبيل الله ما عانوا .

لقد كان ﷺ يربيهم على :

﴿ **أ** ﴾ التأسي بالسابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم في تحمل الأذى في سبيل الله ويضرب لهم الأمثلة في ذلك .

﴿ **ب** ﴾ التعلق بما أعده الله في الجنة للمؤمنين الصابرين من النعيم ، وعدم

الاغترار بما في أيدي الكافرين من زهرة الحياة الدنيا .

﴿ جـ ﴾ التطلع للمستقبل الذي ينصر الله فيه الإسلام في هذه الحياة الدنيا ويذل فيه أهل الذل والعصيان .

﴿ د ﴾ وثمت أمراً آخر كبيراً ألا وهو أنه ﷺ مع هذه الأشياء كلها كان يخطط ويستفيد من الأسباب المادية المتعددة لرفع الأذى والظلم عن أتباعه وكف المشركين عن فتنتهم وإقامة الدولة التي تجاهد في سبيل الدين وتتيح الفرصة لكل مسلم أن يعبد ربه حيث شاء وتزيل الحواجز والعقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى الله) [١] .

[٢] دروس في الأناة وضبط النفس من مواقف الحصار في شعب أبي طالب :

لم تكتف قريش بمجرد التعذيب والتنكيل بالمسلمين فما أن كان أول السنة السابعة من البعثة النبوية حتى تمالأت قريش على مقاطعة بني هاشم ، وكان الذي غيظهم إلى هذا الحد هو ما رأوه من إسلام حمزة ثم عمر ورفض الرسول ﷺ مساومتهم التي عرضوها عليه ، ثم تواثق بني المطلب وبني هاشم كلهم مسلمهم وكافرهم على حياطة محمد ﷺ ومنعه، فأجمعت قريش أمرها على قتل النَّبيّ ﷺ .

ولكن كيف تفعل وقد أحاطه بنو هاشم جميعاً بعضهم إيماناً وبعضهم عصبية ؟ .

فاجتمعوا في خيف بن كنانة وتحالفوا على بني هاشم : أن لا يناكحوهم ولايبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على

---

(١) انظر الغرباء الأولون ص ١٤٥ ، ١٤٦ ط دار ابن الجوزي، الدمام ، الطبعة الثالث١٤١٢هـ .

ذلك وكتبوه في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة .

فتجمع بنو هاشم و بنو المطلب - إلا أبا لهب - وحبسوا في شعب أبي طالب، في هلال المحرم سنة سبع من البعثة ، ومكثوا ثلاث سنين ، وقد اشتد الحصار عليهم حتى اضطروا إلى أكل أوراق الشجر ، وحتى أصيبوا بظلف العيش وشدته، إلى حدّ أن أحدهم يخرج ليبول فيشعر بقعقعة شيء تحته ، فإذا هي قطعه جلد بعير فيأخذها فيغسلها ثم يحرقها ثم يسحقها ثم يسفها ويشرب عليها الماء فيتقوى بها ، وكانت قريش تسمع من وراء الشعب أصوات النساء والصبية يتضاغون من شدة الجوع ، وكانوا إذا حاولوا الخروج للشراء من العير التي تأتي من خارج مكة تجمع القرشيون فيزيدون في قيمة السلعة حتى يعجزون عن الشراء .

وبعد ثلاث سنين خرج نفر من قريش تصلهم ببني هاشم قربى ورحمة فنقضوا هذه الصحيفة الظالمة منهم هشام بن عمرو ،وزهير بن أمية المخزومي - فقد كانت أمه عاتكة بن عبد المطلب - والمطعم بن عدي ، وكانوا قد وجدوا الأرضة مزقت الصحيفة [١] .

وإن مثل هذا الموقف لمدعاة الإثارة المتعجلين، خصوصاً وأن هناك تجمع تحدوه عصبيتان ، عصبية الإيمان وعصبية الدم والنسب ، كما أن الشعور بالظلم والغطرسة من أخطر ما يثير الإنسان ويدفعه ، ولكنه النَّبيّ الحكيم قائد الموقف يتأنى ويضبط أعصابه ، ويأمر من معه بضبط النفس لأنه ينظر إلى ما وراء الموقف من تعزيز لقضيته العادلة .

---

(١) انظر تفاصيل الحصار في السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٣-٧٢ .

وقد استنبط بعض أهل العلم من المهتمين بتوجيه الشباب وإرشادهم من موقف الحصار دروساً عظيمة من أهمها:

[١] كانت تعليمات النَّبيّ ﷺ لأفراد المسلمين ألا يواجهوا العدو ، وأن يضبطوا أعصابهم ، فلا يشعلوا فتيل المعركة أو يكونوا وقودها ، وإن أعظم تربية في هذه المرحلة هي صبر أبطال الأرض على هذا الأذى دون مقاومة حمزة وعمر وأبي بكر وعثمان ، وغيرهم ﷺ ، سمعوا وأطاعوا ، فلقوا كل هذا الأذى وهذا الحقد وهذا الظلم ، فكفوا أيديهم ، وصبروا ليس على حادثة واحدة فقط ، أو يوماً واحداً فقط ، بل ثلاث سنين عجاف ، تحرق أعصابهم ، ولا يسمح لهم برمية سهم أو شجة رأس [١] .

[٢] أثبتت الأحداث عظمة الصف المؤمن في التزامه بأوامر قائده ، وبعده عن التصرفات الطائشة ، فلم يكن شيء أسهل من اغتيال أبي جهل وإشعال معركة غير مدروسة لا يعلم مداها إلا الله وغير متكافئة .

[٣] كانت هذه السنوات الثلاث للجيل الرائد زاداً عظيماً في البناء والتربية حيث ساهم بعضه في تحمل آلام الجوع والخوف ،والصبر على الابتلاء وضبط الأعصاب، الضغط على النفوس والقلوب ، وإلجام العواطف عن الانفجار .

[٤] كانت بعض الشخصيات في الصف المشرك تبنى في داخله بالتربية النبوية ، وتتأثر بعظمة شخصية النبي ﷺ وتتفاعل في أعماقها مع المبادئ التي يقدمها الدين الجديد ، وإن كان خوفها من سطوة الملأ والكبراء تحول دون إظهار التفاعل [٢] .

[٥] وكانت حادثة الحصار سبباً في خدمة الدعوة والدعاية لها بين قبائل

---

(١) انظر التربية القيادية للغضبان ١ / ٣٧١ ط دار الوفاء ـ المنصورة ١٤١٨ هـ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٣٢٠ .

(٢) المرجعين السابقين على التوالي (١/ ٣٨٥ – ٣٨٦) .

العرب فقد ذاع الخبر في كل القبائل العربية من خلال مواسم الحج ، ولفت أنظار جميع الجزيرة العربية إلى هذه الدعوة التي يتحمل صاحبها وأصحابه الجوع والعطش والعزلة لكل هذا الوقت ، أثار ذلك في نفوسهم أن هذه الدعوة حق ، ولولا ذلك لما تحمل صاحب الرسالة وأصحابه كل هذا الأذى والعذاب .

[٦] أثار هذا الحصار سخط العرب على كفار مكة لقسوتهم على بني هاشم وبني المطلب ، كما أثار عطفهم على النَّبيّ ﷺ وأصحابه ، فما أن انفك الحصار حتى أقبل الناس على الإسلام وحتى ذاع أمر هذه الدعوة وتردد صداها في كل بلاد العرب ، وهكذا ارتد سلاح الحصار الاقتصادي والاجتماعي على أصحابه وكان عاملاً قوياً من عوامل انتشار الدعوة الإسلامية على عكس ما أراد زعماء الشرك (١) .

[٣] تعجل القتال قبل فرضه :

في ظل هذه الأجواء المشحونه بالعداء والتعدي على الإسلام والمسلمين تنكيلاً وتعذيباً وتشويها لصورة الإسلام ، (كان المسلمون وخصوصاً الشباب منهم ــ وأكثرهم شباب ــ يتوقون للدفاع عن أنفسهم ، ويبدو أن الموقف السلمي أغا ظ بعضهم ، حتى جاء عبد الرحمن بن عوف وأصحابه إلى النَّبيّ ﷺ بمكة فقالوا : يا نبي الله كنا أعزة ونحن مشركين ، فلما آمنا صرنا أذلة !! . قال ﷺ : « **إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم** » (٢) .

ولما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين ، قالوا يا رسول ﷺ ألا نميل على أهل الوادي ــ يعنون منى في ليلى منى ــ فنقتله؟

---

(١) الحرب النفسية ضد الإسلام : د /عبد الوهاب كحيل ص ١٠١ ط عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٦ هـ .

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة : لأكرم ضياء العمري ١ / ١٨٥ ط مكتبة المعارف والحكم ــ المدينة المنورة ١٩٩٢ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٨١ .

فقال رسول الله ﷺ لم أومر بهذا (١) .

وقد كان النَّبيّ ﷺ حريصاً على الخفاء والسرية فأمرهم أن يرجعوا إلى رحالهم ولا يحدثوا شيئاً ، رافضاً الاستعجال في المواجهة المسلحة التي لم تتهيأ لها الظروف بعد ، وعندما جاءت قريش تحقق الخبر موّه المسلمون عليهم بالسكوت أو المشاركة بالكلام الذي يشغل عن الموضوع (٢) .

تُرى لماذا كان النَّبيّ ﷺ يؤخر المواجهة المسلحة ؟ ويرفض متابعة المتعجلين للمواجهة دفعاً للظلم عن أنفسهم؟ ذلك لأنه مأمور بأمر ربه ـ سبحانه وتعالى ـ .

لكن اجتهد بعض أهل العلم في استنباط بعض الحكم من وراء الأمر ومنها :

[١] أن الكف عن القتال في مكة ربما لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة ، لقوم معينين ، وسط ظروف معينة ، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة تربية الفرد العربي على الصبر على مالا يصبر عليه عادة من الظلم حين يقع عليه أو على من يلوذون به ليخلص من شخصه ويتجرد من ذاته فلا يندفع لأول مؤثر ، ولا يهتاج لأول مهيج ، ومن ثم يتم الاعتدال في طبيعته وحركته ، ثم تربيته على أن يتبع نظام المجتمع الجديد بأوامر القيادة الجديدة ، حيث لا يتصرف وفق ما تأمره ، مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته ، وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي المسلم لإنشاء المجتمع المسلم .

[٢] وربما ذاك لأن الدعوة السليمة أشد أثراً وأنفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف ، والتي قد يدفعها القتال معها ـ في مثل هذه الفترة إلى زيادة العناد ونشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة أمثال داحس

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦١ ، السيرة النبوية الصحيحة ١ / ٢٠١ ، دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ١٨٦ ، ١٨٧ د دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٧ .

(٢) السيرة النبوية للصلابي ١ / ٤١٧ ، الهجرة النبوية المباركة : د/ عبد الرحمن البرّ ص ٦٥ ط دار الكلمة المنصورة ١٤١٨ هـ

والغبراء والبسوس ، وحينئذ يتحول الإسلام من دعوة إلى ثارات تنسى معها فكرته الأساسية .

[٣]وربما كان ذلك ــ أيضاً اجتنابا لإنشاء معركة ومقتلة داخل كل بيت ، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين وإنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد ، ومعنى الإذن بالقتال ــ في مثل هذه البيئة ــ أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال : هذا هو الإسلام !! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال !! فقد كانت دعاية قريش في الموسم : إن محمداً يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه لقومه وعشيرته ، فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد والمولى بقتل الولي ؟ .

[٤]وربما كان ذلك ـ أيضاً ـ لما يعلمه الله من أن كثير من المعاندين الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويعذبونهم بأنفسهم هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلصين ، بل من قادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء ؟.

[٥]وربما كان ذلك ـ أيضاً ـ لقلة عدد المسلمين حينئذٍ وانحصارهم في مكة حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة العربية ، أو بلغت ولكن بصورة متناثرة حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها ، لترى ماذا يكون الموقف ، ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة ، حتى ولو قتلوا أضعاف من سيقتل منهم ، و يبقى الشرك ولا يقوم للإسلام في الأرض نظام ، ولا يوجد له كيان واقعي ، وهو دين جاء ليكون منهج حياة ونظام دنيا وآخرة .

وهذه الاعتبارات الماضية لعلها كانت بعض ما اقتضت حكمة الله في أن يأمر المسلمين بكف أيديهم في تلك المرحلة ليتم تربيتهم وإعدادهم ، وليقف المسلمون في انتظار أمر القيادة الرشيدة في الوقت المناسب (١) .

(١) انظر : في ظلال القرآن ٢ / ٧١٤ ، ٧١٥ ، الولاء والبراء : لمحمد القحطاني ص ١٦٩– ١٧١ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٨٢ –٢٨٤ .

وقد تعلم المسلمون من تلك المواقف ومن القرآن الكريم فقه المصالح والمفاسد ، وأن المصلحة إن أدت إلى مفسدة أعظم تترك . فقد جاء القرآن يقول لهم : ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)** ﴾ [الأنعام : ١٠٨] . وفي هذا تهذيب أخلاقي، وسمو إيماني ، وترفع عن مجاراة السفهاء الذين يجهلون الحقائق ، وقلوبهم خالية من معرفة الله وتقديسه [١] .

والناظر في الفترة المكية والتي كانت ثلاثة عشر عاماً كلها في تربية وإعداد وغرس لمفاهيم (لا إله إلا الله) يدرك ما لأهمية هذه العقيدة من شأن في عدم الاستعجال واستباق الزمن ، فالعقيدة بحاجة إلى غرس يتعهد بالرعاية والعناية والمداومة بحيث لا يكون للعجلة والفوضى فيها نصيب ، وما أجدر الدعاة إلى الله أن يقفوا أمام تربية المصطفى ﷺ لأصحابه على هذه العقيدة وقفه طويلة ، فيأخذوا منها العبرة والأسوة ، لأنه لايقف في وجه الجاهلية أيا كانت قديمة أو حديثة أم مستقبلية ، إلا رجال اختلطت قلوبهم ببشاشة العقيدة الربانية ، وتعمقت جذور شجرة التوحيد في نفوسهم [٢] .

كما كان النَّبيّ ﷺ يأتيه القرآن ليسليه وليسلي أصحابه في تلك الظروف فكانت آياته تنزل برداً وسلاماً عليهم ، كانت تركز على ضرب الأمثلة بالسابقين في هذا الطريق ممن أوذي في الله ، فكان مما نزل ﴿ **الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)** ﴾ [العنكبوت : ١-١٠] .

---

(١) التفسير المنير : للزحيلي ٧ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ والآية من سورة الأنعام ١٠٨ .

(٢) انظر الولاء والبراء ص ١٧١ ط دار طيبة ـ الرياض ـ الطبعة السادسة ١٤١٣هـ .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

(كما نزلت سورة المزمل ترشد الصحابة إلى حاجة الدعاة إلى قيام الليل ، والدوام على الذكر والتوكل على الله في جميع الأمور و وضرورة الصبر ، ومع الصبر الهجر الجميل ، والاستغفار بعد الأعمال الصالحة ، وكانت الآيات الأولى منها تأمر النَّبيّ ﷺ أن يخصص شطراً من الليل للصلاة ، وخير أن يزيد عليه أو ينقص منه فقام النَّبيّ ﷺ ومعه أصحابه قريباً من عام حتى ورمت أقدامهم فنزل التخفيف عنهم بعد أن علم الله منهم اجتهادهم في طلب رضاه ، وتشميرهم لتنفيذ أمره ومبتغاه ، فرحمهم ربهم فخفف عنهم فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ [المزمل : ٢٠] فكان امتحانهم في الفرش ومقاومة النوم ومألوفات النفس لتربيتهم على المجاهدة في عالمهم ، إذ لابد من إعداد روحي عالٍ لهم)[١] .

فليفهم الجيل المعاصر أنه لن يبلغ غايته بالعجلة ، وإنما بالإعداد الجيد الذي يقتدي فيه برسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

[٤] تعجل الرماة في يوم أحد لجمع الغنائم :

وهذا الحديث مشهور في تاريخ الإسلام ،قال ابن هشام في السيرة النبوية :

(.. وأمَّر ـ يعني رسول الله ﷺ ـ على الرماة عبد الله بن جُبير أخا بني عمرو وهو مُعلم يومئذٍ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال ، انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت في مكانك لا نؤتى من قبلك)[٢] .

---

(١) انظر السيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١ / ١٦٠ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٢٢ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٨ .

وفي رواية : (**الزموا مكانكم لا تبرحوا منه فإذا رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنّا ، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما كنتم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم**) (١) .

ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش بعد تلاحم الفريقين ، ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم هذا إلى ترك مواقعهم ـ ظانين أن المعركة قد انتهت ، فتعجلوا ونزلوا عن الجبل وقد روى البخاري : (أن الرماة قالوا : لأميرهم عبد الله ابن جبير : الغنيمة ، الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون . فقال عبد الله ابن جبير ، أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ قالوا : والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما غنم النَّبيّ ﷺ وأباحوا معسكر المشركين أكبّ الرماة جميعاً فدخلوا في المعسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ ـ فهم كذا ـ وشبك بين أصابع يديه والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا عليها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا وقتل من المسلمين ناسٌ كثير) (٣) .

انظر ماذا فعل تعجل الرماة ؟ ، خالفوا أمر النَّبيّ ﷺ وعرّضوا جيشه ليتمكن منه أعداؤه .

قال الدكتور . محمد أبو شهبة ـ رحمه الله ـ :

لقد كانوا منذ ساعة يقاتلون بوحي من إيمانهم ، ودفاعاً عن عقيدتهم وهاهم الساعة يقاتلون لينجوا من براثن الموت ويفلتون من الأسر) (٤) .

---

(١) السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي ٢ / ٤٩٦ ط دار المعرفة .
(٢) صحيح البخاري : ك الجهاد برقم (٣٠٣٩) .
(٣) مسند الإمام أحمد ١ / ٢٨٧ برقم (٢٦٠٨) من حديث ابن عباس .
(٤) السيرة النبوية : للدكتور محمد محمد أبو شهبة ٢ / ١٩٥ ط دار القلم سوريا ٢٠٠٢ .

وقال اللواء / محمود شيت خطاب ـ رحمه الله ـ :

(**من أسباب خسائر المسلمين في أحد :** مخالفة الأوامر،فإن تنفيذ الأوامر هي الضبط العسكري الذي يعتبر روح الجندية والسبب المباشر لكل انتصار في كل معركة،ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك، إذ كُشف للعدو ظهورهم، فاستفاد خالد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف،مما أدى إلى الإطباق عليهم من كافة الجهات) (١) .

ولقد وعظ الله ـ تعالى ـ المسلمين وذكرهم في القرآن بأن الطبيعة البشرية التي تحب العاجلة تغلبت على نفوس بعض الرماة فخالفوا وفارقوا أماكنهم ، وكان هذا بعد أن أراهم الله ما يحبون وهو النصر ، فلم التعجل

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** (١٥٢) ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

قال الشيخ / السعدي ـ رحمه الله ـ :

(ولقد صدقك الله وعده بالنصر فنصركم عليهم ،حتى صرتم عوناً لأعدائكم عليكم ، فلما حصل منكم الفشل وهو الضعف وتنازعتم فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النَّبيّ ﷺ ومن قائل ما مقامنا وقد انهزم العدو ولم يبق محذور فعصيتم الرسول وتركتم أمره بعدما أراكم الله ما تحبون ، وهو انخذال أعدائكم .. ﴿ **مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا** ﴾ وهم الذين تعجلوا فخالفوا ، ﴿ **وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ وهم الذين لزموا أمر رسول الله ﷺ وثبتوا حيث أمروا ..)(٢) .

---

(١) الرسول القائد : للواء محمود شيت خطاب ص ١٢٠-١٢١ ط مكتبة الحياة ، بيروت ، الثانية .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ / ناصر السعدي ص ١٣٥ .بتصرف ط دار ابن حزم ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٣ .

وقال الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ :

(والأظهر عندي أن يكون معنى ما تحبون هو الغنيمة ، فإن المال محبوب .. وعدل عن ذكر الغنيمة باسمها إلى الموصول تنبيهاً على أنهم عجّلوا في طلب المال المحبوب ، والكلام على هذا تمهيد لبساط المعذرة ، إذ كان فشلهم وتنازعهم وعصيانهم عن سبب من أغراض الحرب وهو المعبر عنه بإحدى الحسنيين ، ولم يكن ذلك عن جبن ولا عن ضعف إيمان أو قصد خذلان المسلمين ، وكله تمهيد لما يأتي من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ .. تسكيناً لخواطرهم ، وفي ذلك تلطف معهم على عادة القرآن في تقريع المؤمنين .. وفيه أيضاً دلالة على صدق إيمانهم إذ عجّل لهم الإعلام بالعفو لكيلا تطير نفوسهم رهبة وخوفاً من غضب الله) [١] .

وهكذا أخذ المسلمون درساً بليغاً مريراً بسبب تعجل نفراً منهم وإن كان المتعجلون نفر قليل ، إلا أن الجماعة بأكملها تحملت نتائج هذه العجلة .

وهذا نراه كثيراً في واقع الأمة الإسلامية ، وخصوصاً في الجماعات المتصدرة للدعوة، قد يتعجل أفراد من هنا وهناك، ويحصل الاختلاف وتعمّ الفتن ، ويوجه اللوم إلى كل الجماعة مع أنه فعل أفراد ؛ وربما تكون عجلة وحماقة المتعجلين سبباً في إعراض الناس عن إخوانهم من أصحاب الأناة والحلم زمناً حتى تتكشف لهم الحقائق وأنهم ليسو سواء ، فليتق الله كل داعية ولا يتحدث باسم الإسلام إلا إذا عرف واجباته ، وتحلى بالأناة والصبر والتؤدة وهو يبلغ عن رسول الله ﷺ ويدعو الناس إلى الله تعالى .

[٥] عجلة بعض الصحابة في الاعتراض على صلح الحديبية :

حيث أن النّبيّ ﷺ بعد أن تمت المفاوضات بينه وبين المشركين عقد صلحاً بشروط امتعض منها بعض الصحابة ظناً منهم بأنها مجحفة بالمسلمين ، ودفعت

---

(١) تفسير التحرير والتنوير : للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ٣ / ١٣٠ ط دار سحنون ، تونس.

العجلة بعضهم أن يظهر المعارضة علناً ، قال ابن هشام :

(فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنيّة في ديننا ؟ ، قال : أبو بكر : يا عمر « الزم غرزه » فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ألست برسول الله ؟ ، قال : بلى قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال فعلام نعطي الدنيّة في ديننا ؟ .

قال : أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره ولن يضيعني .

قال : فكان عمر يقول : مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً) [١] .

ولكن مع هذا عندما تبدت الأمور لعمر عرف أنه كان متعجلاً في موقفه هذا ، ولم يدرك بُعد نظر رسول الله ﷺ فكان يُكفر عن هذا الفعل بالصلاة والصيام والصدقة والعتق مخافة كلامه الذي دفعه إليه التعجل .

إن هذا الموقف ليس سهلاً ، وإنما قد يصدر من أناس غير الصحابة ، وليس لهم إيمان الصحابة رضي الله عنهم فقد يُحدث انقلابا في الدولة الإسلامية ،وقد يكون مع قائد غير رسول الله ﷺ فيأمر بقتلهم فيبوء بإثمهم ، ومن هنا تبدو خطورة التعجل في المعارضة .

قال اللواء ركن / محمود شيت خطاب ـ رحمه الله ـ :

(لا أكاد أقرأ تفاصيل غزوة الحديبية كما ترويها كتب السيرة إلا وأهتف من صميم نفسي : ما أعظم الضبط الذي كان يتحلى به الرسول وأصحابه حينذاك ؟

---

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ٣ / ٢٢٧ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٨ .

لم يكن موقف المسلمين سهلاً أثناء مفاوضات الهدنة وبعده حتى عودتهم إلى المدينة ، فقد كان الرسول ﷺ يعرف أهدافه القريبة والبعيدة ، ويعمل لها بصبر وأناة وإصرار ، ولكن كيف السبيل إلى إفهام كل تلك الأهداف إلى المسلمين في مثل تلك الظروف ؟ .

أما المسلمون فما أصعب موقفهم ! لم يكن أحد منهم يشك في دخول مكة ، فانهارت آمالهم أثناء المفاوضات ، ولم يكن أحد يفهم أسباب الهدنة ، فشاهدوا هذه الهدنة تصبح أمراً مفروغاً منه ، وكانت عقيدتهم تطغى على كل شيء سواها ، فوجدوا إخوانهم المستضعفين من المسلمين يُردون إلى المشركين ليفتنوهم عن دينهم ـ ولو كان المسلمون ـ يومئذٍ ضعفاء أو يشعرون بالضعف لهان الخطب ، ولكنهم أقوياء مادياً ومعنوياً ، فكيف يقتنعون بالهدنة في شكلها وأسلوبها الذي كان) (١) .

إن ضبط الرسول ﷺ أعصابه أثناء المفاوضات وبعده على الرغم من تذمر بعض المسلمين ، وضبط المسلمين أعصابهم في مثل ذلك الموقف على الرغم من حنق بعضهم على المفاوضات والهدنة كل ذلك يدل على تحلّي المسلمين حينذاك بالضبط المتين بشكل يدعوا إلى الإعجاب الشديد) (٢) .

إن الشيء الذي لم يفهمه المتعجلون في غزوة الحديبية هو أن الرسول ﷺ وافق على تلك الشروط لبُعد نظره فهو يريد حرب الدعاية ضد خصمه . فلقد شن المسلمون على قريش بخروجهم لزيارة البيت العتيق أضخم حرب للدعاية ، فلقد أظهروا تعظيمهم للبيت بصورة عملية لا تقبل الشك والمماراة ، فتسامع العرب بذلك ، فلما أصرّت قريش على رجوع المسلمين دون زيارة المسجد الحرام، اعتبر العرب أن قريشاً ظلمت المسلمين فليس لها أن تحرم أحداً جاء لتعظيم

---

(١) الرسول القائد : لمحمود شيت خطاب ص ١٨٨ ط مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
(٢) الرسول القائد : ص ١٨٩

البيت من زيارته بل إن هذه الدعاية كادت أن تثير حرباً أهلية داخل مكة . . فكان هذا إثارة للرأي العام ضد قريش لصدها المسلمين عن البيت الحرام ، مما أكسب المسلمين عطف كثير من القبائل وكثير من قريش نفسها والمنطقة المجاورة لها ، مما سهّل عملية فتح مكة فيما بعد وبهذا تصبح غزوة الحديبية حرب دعاية من الطراز الممتاز [١] . [٢] .

وأنى للمتعجل أن يفهم هذا الفهم البعيد ، وتُرى لو أطاعهم النَّبيّ ﷺ في تعجلهم وامتعاضهم على هذا الصلح فلم يُبرمه وخاض بهم القتال هل كان مكسب الدعوة سيكون بنفس هذا المقدار الضخم ؟ .

بالطبع لا ، بل ربما استطاع خصمهم أن يحقق كسباً لقضية بأن يُشهر بالرسول ﷺ وبدينه ، فيقول هذا الرجل الذي زعم أنه يدعو إلى الله لا يعرف الحُرمات ، وقد جاء منتهكاً لحرمة البيت الحرام الذي نعظمه ونجله عن القتال فيه، فليحذر الدعاة من العجلة جرياً وراء تحقيق مكسب صغير للدعوة على حساب مكاسب ضخمة يضيعونها ، وليحذروا من أعداء دعوتهم ، فقد يستفزونهم ثم يتخذوا من انفعالهم وعجلتهم دعاية ضد الإسلام .

[٦] عجلة خالد بن الوليد في قتل بني جذيمة :

(بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا ، فقام رجل منهم يسمى : جحدرا فقال : ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً ، فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه ،

(١) المرجع السابق ص ١٩١ - ١٩٣ .

(٢) قارن بين حرب الدعاية في الإسلام ، وبينها في غيره من النظم . ، فهي في الإسلام تقوم على الحكمة لخدمة قضية عادلة ، وأما في غيره فهي تعتمد على الكذب والخداع لخدمة قضايا باطلة

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ،وخالد يأخذ فيهم أسراً وقتلاً ، فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك ، ثم دفع الأسرى إلى من كان معه ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل واحداً أسيره ، فامتثل البعض ، وامتنع عبد الله بن عمر وامتنع معه آخرون من قتل أسراهم ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه ، فغضب ورفع يديه إلى السماء قائلاً : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد – مرتين – .

وقد أنكر على خالد الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف وقال له عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ، وكانت بينهما ملاحاة قال له فيها عبد الرحمن : إنك ثأرت لعمك الفاكه بن المغيرة وكان بعض بني جذيمة قتلوه في الجاهلية . .فبعث إليهم النَّبيّ ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج عليّ حتى جاءهم فودى قتلاهم ، وعوضهم خيراً ، وبهذا التصرف النبوي الحكيم واسى النَّبيّ ﷺ بني جذيمة وأزال ما في نفوسهم من أسى وحزن) [١] .

فهذا الموقف تعجّل فيه خالد رضي الله عنه في إصدار حكمه على بني جذيمة فجانبه الصواب فيما فعل ، فالقوم – أي بني جذيمة – من الضعف بمكان ، بدليل أنهم ألقوا السلاح ، وأصبحوا أسارى مقيدين ، دعاهم إلى الإسلام فقبلوه ، ولكنهم لم يحسنوا التعبير ، فعبروا بالعبارة التي كان يطلقها الكفار على من يدخل في الإسلام فيقولون عنه : (صبأ مع محمد) فجعل بنو جذيمة يقولون : (صبأنا صبأنا) يريدون دخلنا في الإسلام وتابعنا محمداً عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٣١ والسيرة النبوية لأبي شهبة ٢ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ والسيرة النبوية للصلابي ٢ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، وأصل القصة في صحيح البخاري برقم (٣٩ – ٤٣) ك المغازي ، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة .

ولكن خالداً اجتهد في الأمر على عجلة فأداه اجتهاده إلى أنهم لم يسلموا فأعمل فيهم السيف .

ونحن لا نشك ـ ولا أحد من المؤمنين الذين يعرفون أقدار الصحابة ﷺ ـ في أن خالد رضي الله عنه إنما أراد نصرة الإسلام وأنه اجتهد في أمر وتأول فأخطأ ، ففهم كلامهم « صبأنا » أنهم يتبرؤون من الإسلام لا أنهم يريدون الإسلام ، ولعل هذا هو السبب في أن النَّبيّ عذره ولم يعزله ، وإن كان تبرأ من فعله إلى الله ، وما كان رسول الله ﷺ يداهن أو يخاف في الحق لومة لائم [١] .

وقد جر تعجل خالد رضي الله عنه كثيراً من اللوم والعتب عليه ، سواءً من أصحابه الذين أنكروا عليه ، أو من رسول الله ﷺ الذي تبرأ إلى الله مما صنع ، أو من أعداء الإسلام الذين شنعوا على خالد في هذا الموقف مستغلين روايات التاريخ متجاهلين لأقدار الصحابة مسيئين الظن بهم ، فأشاعوا أن الإسلام دين غدر ، يعطي الأمان ثم يغدر ، ونافح الشيخ محمد الصادق عرجون في الدفاع عن خالد وتجلية مواقفه والاعتذار عنه بما يليق به في كتاب كامل سماه باسم « خالد » فجزاه الله خيراً .

ويشبه هذا الموقف موقف أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما بعثه إلى الحرقة [٢] فقاتلهم وهزمهم ، قال أسامة :

(فتعقبت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي فقتلته . فلما قدمنا بلغ النَّبيّ ﷺ فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ ،فقلت : كان متعوذاً [٣] ، فمازال

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة ٢ / ٤٦٥ .

(٢) الحرقة : بطن من جهينة سموا بذلك لوقعة كانت بينهم وبين بني مرة فأحرقوهم بالسهم ، فتح الباري ١٤ / ١٧٥

(٣) معنى متعوذاً : أي بالكلمة ، يعني قالها خوفاً من السلاح ، كما في بعض الروايات ، وفيها «**أشققت عن قلبه** » .

يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم [١] .

فانظر كيف دفعت العاطفة الجياشة والحماس الذي انطوى عليه قلب أسامة إلى الاستعجال في الحكم بأنه لم يسلم (وإنما قالها خوفاً من السلاح) [٢] ، كما ذكر أسامة رضي الله عنه ذلك للنبي ﷺ في بعض الروايات - ونسي أسامة رضي الله عنه أن الله عز وجل - وحده هو المطلع على القلوب وماتكنه وتخفيه، لذلك قال له النَّبيّ ﷺ في رواية أخرى : **(أشققت عن قلبه) (من لك بلا إله إلا الله) (وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا أتتك يوم القيامة ؟)** ، وما زال يكررها حتى قال أسامة رضي الله عنه : (وتمنيت أن لم أكن أسلمت ذلك اليوم) ، (لأن الإسلام يجب ما قبله ، فتمنى أن ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الغفلة) [٣] .

وهذا يدل على رفض النَّبيّ ﷺ الاستعجال حتى ولو كان من أحب الناس إليه وأقربهم منه .

فليتعلم الدعاة من تلك المواقف ، وليعلموا أنهم إن تعجلوا فسوف تلحقهم وتلحق دعوتهم نتائج تعجلهم ، ولن يرحمهم التاريخ والناس فهم ليسوا أعظم قدراً من خالد ولا أسامة رضي الله عنهما .

[٧] تعجل بعض نساء النبيّ ﷺ متاع الدنيا :

النفس البشرية مفطورة على حب العاجلة وهي الدنيا ، قال تعالى : ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ** ﴿٢٠﴾ ﴾ [القيامة : ٢٠] ، ﴿ **من كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ** ﴾ [الإسراء : ١٨] .

وقد حدث : (أن أزواج النَّبيّ ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه

---

(١) صحيح البخاري ٦٩ ٤٢ ك المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى الحرقات من جهينة .

(٢) انظر فتح الباري ١٤ / ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق ١٤ / ١٧٧ .

الزيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض ، فآلى منهن شهراً . وأنزل الله تعالى آية التخيير ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ .
[الأحزاب : ٢٨ - ٢٩] .

ومعنى ﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ : سعتها ونضارتها ورفاهيتها والنعيم فيها .

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النَّبيّ ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً ، فقال عمر : لأكلمن النَّبيّ - لعله يضحك . فقال عمر : يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني نفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النَّبيّ حتى بدت نواجذه ، وقال : هن حولي يسألنني النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده !! فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبدا ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً كاملاً أو تسعاً و عشرين يوماً ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قال : فبدأ بعائشة فقال : يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ ، فقرأ عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت لي ، قال : لا تسألني منهن امرأة إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني مُعنتاً ولامُتعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً) [١] .

(١) صحيح مسلم برقم (٣٦٩٠) ك الطلاق ، باب اعتزال النبي ﷺ أزواجه شهراً ونزول التخيير.

فهذا موقف يظهر فيه أن بعض نساء النَّبيّ ﷺ نظرن ما هن فيه من ضيق العيش وقلة مُتع الحياة ،وإلى ما عند الآخرين من المتاع فاستجبن للطبيعة البشرية، فسألن رسول الله ﷺ زيادة النفقة بحيث يُحصلن شيئاً من رغد العيش ورفاهيته. فدل هذا الموقف على أن هذا كان منهن تعجلاً لمتاع الحياة الدنيا .

وقد ترتب عليه أمران :

﴿ ١ ﴾ لحوق الكآبة والهم برسول الله ﷺ ويدل عليه قول جابر في الحديث السابق) :فوجد النَّبيّ ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً) . والسكوت والوجوم علامات على الهم والكآبة ، حتى التفت نظر عمر رضي الله عنه إلى هذا فحاول أن يسري عن النَّبيّ ﷺ ويضحكه فذكر له ما طلبه منه امرأته وكأنهن متفقات.

﴿ ٢ ﴾ تعطيله عن الخروج للناس الواقفين ببابه ، وهذا تعطيل له عن الدعوة ، يدل عليه قول جابر رضي الله عنه : (.. فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم).

وكان موقف النَّبيّ ﷺ من هذا التعجل لمتع الحياة الدنيا هو عدم الرضى لهذا الفعل حتى إنه أعلن غضبه فآلى منهن شهراً حتى نزلت آية التخيير .

وقد حدث هذا في بيت النبوة الطاهر ليتم الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ ، لكل داعية بعده ، لأن الداعية إذا أقبل على متاع الحياة الدنيا شغله عن مهام دعوته ، وإذا استجاب لضغط وطلبات زوجته وأولاده عاقه هذا كثيراً عن أداء عمله ، ولا يعني أن يحرم الدعاة أنفسهم من متاع الدنيا أو يحرّموه ، وإنما ينبغي أن لا يتعجلوا فيكون ذلك على حساب دعوتهم ، وينبغي أن يفهم أزواج الدعاة هذا ويتأسين بالطاهرات أمهات المؤمنين عندما قلن بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وليعلمن أنهنَّ إن أعَنَّ أزواجهن على الدعوة كان لهنَّ مثل أجورهم .

ويأخذن القدوة من نساء هُنّ دون أمهات المؤمنين ، ولكنهن فهمن الموقف وطبقنه ، فكانت المرأة إذا خرج زوجها في الصباح تقول له :(اتق الله فينا ولا

تدخل علينا حراماً ، فإنا نصبر على حرّ الجوع ولا نصبر على حرّ جهنم) [١] .

قال صاحب الظلال - رحمه الله - مصوراً الموقف :

(لقد اختار النَّبيّ ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف ، لا عجزاً عن حياة المتاع ، فقد عاش حتى فتحت له الأرض وكثرت غنائمها ، وعمّ فيؤها ، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد ، ومع هذا فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار ، مع جوده بالصدقات ، والهبات ، والهدايا ، ولكن ذلك كان اختيارا للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله ، رغبة الذي يملك ولكنه يعف ويستعلي ويختار، ولم يكن رسول الله ﷺ مكلفاً من عقيدته ولا من شريعته أن يعيش مثل هذه المعيشة التي أخذ بها نفسه وأهل بيته ، ولم يكلف أمته كذلك أن تعيش عيشته التي اختارها لنفسه، إلا أن يختارها من يريد استعلاء على اللذائذ والمتاع، ولكن نساء النَّبيّ ﷺ من نساء من البشر ، لهن مشاعر البشر، وعلى فضلهن وكرامتهن ، وقربهن من ينابيع النبوة الكريمة ، فإن الرغبة الطبيعية في متاع الحياة ظلت حية في نفوسهن فنما رأين السعة والرخاء بعدما أفاض الله على رسوله وعلى المؤمنين : راجعن النَّبيّ ﷺ - في أمر النفقة - فلم يستقبل هذه المراجعة بالترحيب،إنما استقبلها بالأسى وعدم الرضى . . ويصور لنا هذا الحادث حقيقة حياة رسول الله ﷺوالذين عاشوا معه واتصلوا به ، وأجمل مافي هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان حياة ناس من البشر ، لم يتجردوا من بشريتهم ولا مشارعهم وسماتهم الإنسانية ، مع كل تلك العظمة الفريدة البالغة التي ارتفعوا إليها ، ومع كل هذا الخلوص لله والتجرد مما عداه، فالمشاعر الإنسانية والعواطف البشرية لم تمت في تلك النفوس، ولكنها ارتفعت وصفت ثم بقيت لها طبيعتها البشرية الحلوة ، ولم تعوق هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقدر للإنسان) [٢] .

---

(١) انظر دروس المساء بين المغرب و العشاء ، للشيخ عبدالحميد كشك ص ٣٠ .

(٢) في ظلل القرآن ٥/٢٨٥٣ . ٢٨٥٥، ط دار الشروق ـ القاهرة ١٩٨٥ .

وتذكر بعض الروايات : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على النَّبيِّ ﷺ في هذا الموقف ، فنهى حفصة قائلاً : لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئاً وسليني ما بدا لك ولايغرنك إن كانت صاحبتك أوسم منك وأحب إلى رسول الله ﷺ قال: فتبسم النَّبيّ ﷺ قال عمر: فقلت يا رسول الله أستأنس؟، أي أنبسط في الحديث؟ ، قال : نعم ، قال : فرفعت رأسي فما رأيت في البيت إلا أهبة ثلاثة ، فقلت يا رسول الله : ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدونه، فاستوى جالساً ، فقال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ . أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا . .) [١] .

وفي هذا ترى كيف رفض النَّبيّ مثل هذا التفكير ، ومقارنة حال المؤمنين وما يلاقون من شدة العيش بحال الكافرين وهم يتقلبون في النعيم ، فليس ما يلقاه المؤمنون لهوانهم على ربهم ، ولا ما يلقاه الكافرون لكرامتهم عنده ، وقد كان عمر رضي الله عنه يتوقع أن مثل هذا الكلام يزعج النبي ﷺ ، لذلك أستأذن في أن ينبسط في الحديث أولاً ، وبرغم أن الموقف في بدايته كان فيه شيء من الهدوء بدليل أنه ﷺ تبسم لكلام عمر الأول ، وأذن له أن يأخذ راحته في الحديث ، ولكن عندما قال عمر ما قال ، أفزعه الكلام حتى استوى جالساً ، واعتبر أن مثل هذا التفكير شك فيما وعد الله المؤمنين من خلود نعيم الآخرة وبقائه ، ثم بين أن هؤلاء الذين قد ينظر إليهم المؤمنون في عجب مما أعطاهم الله من النعيم قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا .

[٨] تعجل بعض الصحابة في مواجهة المنافقين :

النفاق شيء خبيث، يُحير أمر صاحبه،فهو مذبذب يُظهر شيئاً ويبطن غيره، كما قال تعالى ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ ولا إِلَىٰ هَؤُلاء** ﴾ [النساء:١٤٣]

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٣٨) ك التفسير ، باب سورة التحريم ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح غريب) . (وهذا جزء من الحديث فهو مطول جداً) . وأصله عند البخاري برقم (٤٩١٣) ك التفسير ، باب تبتغي مرضاة أزواجك .

والتعامل مع المنافقين يحتاج ضبطاً للأعصاب وأناة وتريثاً .

وعندما قدم النَّبيّ ﷺ المدينة وأصبح للمسلمين شوكة ودولة وجد فريق من أهل يثرب أنهم لا يقبلون الإسلام ديناً ، وفي نفس الوقت لهم مصالح يخشون عليها ، ففكروا أن يقبلوا الإسلام ظاهراً ، ويدبروا في دحره والقضاء عليه باطناً ، وعرف هذا الفريق باسم المنافقين .

ولم يأل المنافقون جهداً في الكيد للإسلام والمسلمين ، وكانت مواقفهم ظاهرة، فهم ليسوا أهل عبادة ونسك ، بل كما قال الله عنهم ﴿ **وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة : ٥٤] ، وكذلك ليس لهم حمية في الدفاع عن الإسلام ، بل إذا دعوا إلى الجهاد اعتذروا قائلين : ﴿ **إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ** ﴾ [الأحزاب : ١٣] ، وربما خرجوا في الجيش ثم رجعوا كما حدث في أُحد ، وربما مضوا ولكن لتثبيط الهمم وتخذيل العزائم . . وغير ذلك كثيرٌ .

وكان القرآن ينزل فيفضحهم ويكشف خبث نواياهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين ، ولكن هم مع ذلك في نظر من لا يعرف معدودون في صفوف المسلمين و محسوبون على الإسلام . لذلك لم يكن من السهل مواجهتهم أو معاقبتهم على كل فعل يصدر عنهم لأن ذلك سيُحدث خللاً عظيماً في الجبهة الداخلية في الدولة الإسلامية فكان لابد من احتمالهم بقدر الإمكان ، وعدم التعجل في مواجهتهم ، وكان هذا من الحكمة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .

ولكن عندما يطفح الكيل من أذاهم ربما يهم بهم بعض الصحابة رضوان الله عليهم .

ونختار هنا موقفاً أسفروا فيه عن نيتهم لإخراج المسلمين من المدينة كلها ، روى البخاري ومسلم بسنديهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (كنا في غزاة ،

فكسع)[١] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : ياللأنصار ، وقال المهاجرين : ياللمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : **ما بال دعوى الجاهلية** ؟ قالوا يا رسول الله :كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال : **دعوها فإنها منتنة** ، فسمع بذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النَّبيّ ﷺ : **دعه ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه** . .)[٢] .

فهذا الموقف ـ والذي كان في غزوة بني المصطلق ـ كما عند أكثر أهل العلم غاية في الإثارة وتهييج الأعصاب ، رجل يشعل فتنة داخل الصف الإسلامي ، ويتطاول على مقام النبوة ، إنه شيء خطير .

قام عمر مغضباً قائلاً : (دعني أضرب عنق هذا المنافق) ، وليس عمر وحده الذي قام بل قام أُسيد بن حضير ـ أيضاً ـ لما بلغه الخبر ، فقال (يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي أفتن الناس أضرب عنقه) فقال رسول الله ﷺ أوقاتله إن أمرتك بقتله ؟ ، قال نعم ، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ اجلس ثم قال رسول الله ﷺ آذنوا بالرحيل)[٣] .

بل قام أيضاً ابنه عبد الله بن عبد الله بن أُبي قال يا رسول الله (إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل رأسه إليك، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي انظر إلى قاتل عبد الله

---

(١) كسع : الكسع هو ضرب الدبر باليد أو بالرجل (فتح الباري ٨ /٦٤٩) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٥) ك التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٨٠] .

(٣) رواه ابن كثير في تفسيره ١٤ /١٣ ، ١٤ .

ابن أُبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : « **بل نترفق به ونُحسن صحبته ما بقى معنا** » (١) .

وربما دار في نفس كثير من الصحابة مهاجرين وأنصاراً ـ نفس ما فكر فيه وعرضه عمر بن الخطاب و أسيد بن حضير وابنه عبد الله ، من قتل هذا المنافق ولكن سكتوا لما رأوا نهي النَّبيّ ﷺ لمن عرضوا قتله .

والناظر في موقف ابن أبي يجد أنه لم يرتكب جريمة واحدة بل جرائم أقلها إثماً يستوجب قتله ، وأهمها :

[١] تحريض الأنصار على المهاجرين ، واستعمل في هذا العبارات البذيئة قال : (قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلاكما قال القائل : سمن كلبك يأكلك) (٢) .

[٢] وضع خطة ماكرة للكيد للنَّبيّ ﷺ وأصحابه الكرام ، قال لمن عنده من المنافقين : (هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها) (٣) . وقد حكى الله تعالى هذا في سورة المنافقين : ﴿ **لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا** ﴾ [المنافقون : ٧] .

قال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ :

وهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع واللؤم ، وهي خطة التجويع التي يبدوا أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان في حرب العقيدة ومناهضة الأديان ، ذلك أنه لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة فيحاربون بها المؤمنين .. ناسين الحقيقة البسيطة التي

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٦٠ / ١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٩ / ١٤ .

(٣) المرجع السابق ـ نفس الموضع .

يذكرهم بها القرآن قبل ختام الآية ﴿ **وللَّه خزائنُ السَّموات والأرض ولكنَّ المُنافقين لا يفقهون** ﴾ [المنافقون : ٧] [1] .

[٣] الدعوة لقلب نظام الحكم في المدينة ، وإخراج النَّبيِّ ﷺ وأصحابه منها ، وتلك من أكبر وأخطر جرائمه التي لا تحتمل السكوت عليها ، وقد سجل القرآن عنهم هذه الجريمة : ﴿ **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ** ﴾ [المنافقون : ٨] .

[٤] التهجم على مقام النبوة العالي، ووصفه بالذلة والضعة ، في حين ادعاء العزة والرفعة لنفسه ومن معه ، وذلك في قول ابن أُبي بن سلول ﴿ **ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ** ﴾ وهذا تطاول خطير على مقام النبوة ، رده الله تعالى بقوله : ﴿ **ولله العزَّةُ ولرسوله وللمُؤمنين ولكنَّ المُنافقين لا يعلمون** ﴾ وبرغم هذا كله فإن النَّبيَّ ﷺ أمر أصحابه بضبط أعصابهم قال لعمر : **(لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه)** ، وقال لأسيد : **(اجلس)** ، وقال لابنه : **(بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)** وكان الصحابة ﷺ ، عند أمر قائدهم وقافين .

ولم يمتنع رسول الله ﷺ من قتله لشعور بالضعف ، لا ، ولكنه لبعد نظره رأى أنه وإن كان في قتله مصلحة إلا أنه سيترتب عليها مفسدة أكبر منها ، وهي التشنيع ضد الدعوة الإسلامية في المحيط العالمي ، إذا أن أبن أبي معدود في أصحابه وإن كان ظاهراً فقط ، وسوف يتحدث من لا يعرفون حقيقة الموضوع وليس كل الناس سيقف ـ على حقيقة ـ أن محمداً يقتل أصحابه غيلة أو صبراً ، وهذا من شأنه أن يصد الناس عن قبول الدعوة أو مجرد التفكير في مناصرتها .

وقد يقول قائل : لو أذن لابنه أن يقتله عندما عرض ذلك لكان حسناً لأن الناس سوف يقولون : بلغ من أذاه ومكره وسوء صنيعه ما لم يعجب حتى

---

(١) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٧٩ .

ابنه فقتله .

لكن هذا تفكير خاطئ ، فلو أذن لابنه في قتله لكان التشنيع أكثر وأكثر إذا أنهم في مكة قبل أن يكون قتل وقتال ، كانوا يقولون عن النَّبيِّ إنه يفرق بين الوالد وولده ، فكيف لو أمر ولده بقتل أبيه ـ ليس الظاهر الكفر ـ وإنما المعدود في صفوف المسلمين !! .

وقد اكتفى النَّبيِّ من هذا الابن المؤمن بصنيع دون قتله أبيه يدل على مقدار ولائه لله ورسوله ﷺ (فقد وقف عبد الله بن عبد الله بن أُبي على باب المدينة حتى جاء أبوه ، فقال له : والله لا تدخل حتى تقر أنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ ـ العزيز ـ ففعل هذا ولم يكن النَّبيِّ ﷺ قد طلب هذا من ابنه ولكنه فعله حمية لإيمانه .

[٩] تعجل عمر بن الخطاب في موقفه من حاطب يوم الفتح :

وهذا موقف مشهور أنه كان سبباً في نزول سورة الممتحنة ، وفيه أن النَّبيِّ لما توجه إلى فتح مكة أخفى جهة المسير عمن معه ، إلانفر يسير من أصحابه ، فإذا بحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يكتب كتاباً ويدفعه إلى امرأة تخفيه معها ليخبر به أقاربه في مكة ، فأطلع الله نبيه ﷺ على هذا ، فبعث علياً والزبير ، و المقداد في طلب هذه المرأة فلحقوا بها واستخرجوا منها الكتاب ، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقال النَّبيِّ : ما هذا يا حاطب ؟ .

قال يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتدادا عن ديني، فقال النَّبيِّ ﷺ : صدق ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق.

فقال النبيّ ﷺ : « **إنه قد شهد بدراً ، فما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » ، وفيه أنزلت هذه السورة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ [الممتحنة : ١] (١) .

فهذا الموقف خطير : فيه رجل من أصحاب النَّبيّ وليس رجلاً عادياً ، وإنما هو أحد من أطلعهم النَّبيّ على سر الجيش ، وفيه ما يكشف عن منحنيات النفس العجيبة ، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهما بلغ من إيمانها وقوتها ، ولا عاصم من هذه اللحظات إلا الله (٢) .

ثم يقف الإنسان عجباً أمام عظمة الرسول ﷺ وهو لا يعجل حتى يسأل : (ما حملك على ما صنعت) في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة على صاحبه ، ومن ثم يكف أصحابه عنه (صدق ولا تقولوا إلا خيراً) ، ليعينيه وينهضه من عثرته ، فلا يطارده بها و لا يدع أحداً يطارده . . بينما نجد عمر رضي الله عنه يدفعه إيمانه الجاد الجازم لأن يقول : (إنه قد خان الله ورسوله دعني فلأضرب عنق هذا المنافق) وعمر إنما ينظر إلى العثرة ذاتها فيثور حسه وإيمانه الشديد ، أما رسول الله ﷺ فينظر إليها من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها ، ومن كل جوانبها ، مع العطف الكريم الملهم الذي تنشئه المعرفة الكلية ، في موقف المربي الكريم العطوف المتأني الناظر إلى جميع الملابسات والظروف (٣) .

---

(١) انظر تفاصيل القصة في صحيح البخاري : برقم (٤٨٩٠) ك التفسير ، باب ﴿ لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ وسنن الترمذي برقم (٣٥٢٤) ك التفسير ، باب سورة الممتحنة ، وقال حسن صحيح .

(٢) انظر في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٣٨ .

(٣) في ظلال القرآن القران ٦ / ٣٥٣٩ .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

(وإنما قال عمر ما قال ـ مع تصديق النَّبيّ ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق ، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله استحق القتل ، لكنه لم يجزم به فلذلك أستأذن في قتله ، وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر وعذر حاطب ما ذكره ، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه) [١] .

وهذا يعني أن لو زلّ فرد في جماعة عن اجتهاد وليس عن سوء نية ، فلا ينبغي التعجل في الحكم عليه ، بل ينبغي أن يستوضح عن ملابسات هذه الزلة ويترفق به حتى يمكن رده إلى الصواب ،لأن العجلة والاندفاع في مثل تلك المواقف قد تحمل على العناد ، وبالتالي إلى الشقاق ثم التمرد، وبعد ذلك التضليل والتفسيق والتبديع ، وغير ذلك ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

الأناة مع الأعراب وعدم التعجل عليهم :

الأعراب قوم غلاظ الطباع ، جفاةٌ ، كلامهم في أكثر الأحيان جارح وربما مرد هذا إلى الطبع لا إلى قصد الإساءة ، ولكن من الذي يصبر على ما يصدر منهم ،ويتجاوز عن جفوتهم، إلا حليم ذو أناة ،ومن كالنبي ﷺ في أناته وحلمه ، حتى مع الأعرابي يتعدى ويسيئ إليه ولكنه الرؤوف الرحيم .

فعند البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد فقام الناس ليقعوا فيه ، فقال النَّبيّ ﷺ : « **دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم مُيَسرين ولم تبعثوا مُعَسرين** » [٢] .

فهذا الأعرابي عمل شيئاً اعتبره الصحابة الكرام أنه انتهاك لحرمة المسجد الذي عرفوا قيمته في مجتمعهم ، وأنه له المكانة الأولى ، فدفعهم التعجل إلى أن

---

(١) فتح الباري ٨ / ٦٣٤

(٢) صحيح البخاري ٢٢٠ ك الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد .

همّوا أن يقعوا به ويضربوه ، ونسوا أنه قد يكون جاهلاً وقد يكون مجنوناً ، وقد يكون مدفوعاً عليهم من جهة خصوم الدعوة ليفعل هذا الفعل ويرى مدى رد فعلهم !! .

ولكن النَّبيَّ ﷺ صاحب الأناة أدرك هذا كله فكفهم عنه وقال دعوه ، فإن ما فعله يمكن إصلاحه بإراقة دلو من الماء عليه ، أما إن تركهم لضربه فقد يموت ويتلف في أيديهم ، أو على الأقل يأخذ انطباعا سيئاً عن هذه الدعوة فينفر منها ولا يستجيب لها ، ولذلك أعجب الأعرابي ما كان من حلم النَّبيّ وأناته ولم يعجبه تعجل الصحابة الذين همّوا به حتى إنه لما جعل يدعو الله كان يقول ـ كما في بعض الروايات ـ (اللهم ارحمني وارحم محمداً ولاترحم معنا أحداً) [١] ، يقصد الذين تعجلوا في الهم بالإيقاع به وضربه .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

(أمرهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما ، وتحصل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما ، وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولاسيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه) [٢] .

وذات مرة كان النَّبيّ ﷺ يجلس في أصحابه إذ جاءه أعرابي فقال : يا محمد أعطني فليس المال مالك ولا مال أبيك ، فهمّ به الصحابة أن يضربوه ، فقال النَّبيّ ﷺ خلوا بيني وبينه ثم قام وأخذ الأعرابي فأعطاه حتى رضى ، ثم قال له : لقد قلت ما قلت وفي نفس أصحابي منك شيء ، فإن شئت فاخرج فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ليذهب عنك ما في نفوسهم ، فخرج النّبيّ على أصحابه فقال : لقد أعطيت هذا الأعرابي حتى زعم أنه رضى ، أليس كذلك .

---

(١) انظر فتح الباري ١ / ٤٣١ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠٠ (وعزاه إلى سُنن الترمذي) .
(٢) فتح الباري ١ / ٣٣ .

فقال الأعرابي : بلى ، وجزاك الله عني خيراً يا رسول الله .

ثم التفت إلى الصحابة وقال لهم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كرجل شردت منه ناقته فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فقال لهم خلوا بيني وبين ناقتي فأخذ لها من خشاش الأرض وجعل يناديها فجاءت واستناخت فشد عليها رحله ومتاعه،وإني لو تركتكم حين قال الأعرابي ما قال فقتلتموه لدخل النار(١) .

فهذا الموقف أيضاً يدل على فضل الأناة والرفق وأثره في التعامل مع الجاهل ، لقد غيظ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذا الأعرابي الذي جاء به متهجماً متعدياً على مقام النبوة بهذه الطريقة ، فأرادوا أن يقوموا بتأديبه ، فمنعهم النَّبيّ وأدبه بطريقته ، طريقة الذي يعرف كيف تسترضي النفوس الثائرة ، ويستل منها هياجها ، طريقة العارف بالنفوس ، فأظهر الأعرابي بعد ذلك من محاسن الأدب ما يدل على فضل تأديب النَّبيّ ﷺ ، رضي وقنع وجزى النَّبيّ ﷺ خيراً .

ويعطي النَّبيّ لأصحابه من هذا الموقف درساً ، فيضرب لهم مثالاً ليقرب لهم الفهم ، برجل شردت له ناقة (كالأعرابي) فخرج الناس خلفها ليمسكوها مساعدة لصاحبها عليها فازدادت نفوراً من كثرتهم ، فقال لهم اتركوني فأنا أخبر بها منكم ، فجعل يتلطف بها ويناديها بشيء من حشيش الأرض ، حتى اطمأنت إليه فجاءت إليه مسلمة زمامها ، مستعدة لطاعته .

ولو أنه تركهم حين دفعهم التعجل لتنفيذ ما هموّا به من تأديبه لربما زاد الأمر عن حد التأديب فوصل إلى القتل،وهذا وارد، لأن المتعجل الذي يدفعه الغضب دفعاً ليضرب لا يدري متى وكيف يكف يده، فلو قتلوه قال النَّبيّ ﷺ لدخل النار لتهجمه على مقام النبوة ، ولكنه عليه الصلاة والسلام حريص على استنقاذ الناس منها بكل وسيلة ، فكيف ينسى هذا الأصل الذي يرتكز عليه

---

(١) أورد هذا الخبر الشيخ محمد أبو شهبة في السيرة النبوية ٢ / ٦٣٩ وعزاه إلى مسند البزار، وانظره أيضا في كتاب الشفا للقاضي عياض ١ / ٩٦ .

عمله الدعوي في وقت الهياج والغضب .

ومواقف غلظة الأعراب في معاملة النَّبيِّ ﷺ كثيرة وكلها تدل على فضل الأناة وذم العجلة من خلال إرشاد النَّبيِّ ﷺ لأصحابه وكفهم عنها لأنه يعلم نتائجها وعواقبها .

وما أكثر الجاهلين في مجتمعاتنا الإسلامية الذين لا يقلون في درجة جهلهم عن الأعراب،وهم بحاجة إلى أن نترفق بهم ـ كدعاة إلى الله ـ لا أن نعجل عليهم، فنجهل فوق جهلهم على حد قول القائل الجاهلي :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

وهكذا رأينا موقفه ﷺ من العجلة، وهو الرفض التام لها ،وسيره في أصحابه بالتأني والرفق ، وضبط النفس ، يعفو ويحلم على الجاهل ، ويوجه ويرشد المخطئ إلى الصواب لايعنفه ولايزجره وينظر في عواقب الأمر بنظر بعيد ، ويدفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر ، ويترك المصلحة المحققة إذا علم أنه يترتب عليها مفسدة أكبر منها ، ويبرأ إلى الله من تعجل المتعجلين ، ويعالج المواقف بحكمة علاجاً شافياً كافياً .

وعلى الأمة أن : تترسم خطاه في كل أمورها ، علّها تبلغ شيئاً من حكمته التي جللته بالهيبة وكسته بالوقار في نظر المحب والكاره .

وعلى الأمة أن : تعيد حساباتها في كل مواقفها ، لتعرف الفرق بين الأناة والذلة ، والعجلة والعزة . وأنه ليس الأناة ذلة ولا العجلة عزة ، فكم من ذي أناة وهو عزيز كالجبل في شموخه ، وكم من متعجل وهو ذليل خانع .

وسوف نعرض في المبحث القادم ـ إن شاء الله ـ صوراً ومواقف من العجلة في واقعنا المعاصر لعلنا نقف وقفه جادة لمحاسبة أنفسنا ، والاعتراف بما فيها من النقص والتهور والاستعجال ، والله المستعان .

المبحث الخامس

صور ونماذج من التعجل في واقعنا المعاصر

إن التعجل يكاد يكون سمة من سمات أبناء هذا العصر ، وذلك لفقدان اليقين والإيمان الكامل ، الذي يفيد الثبات والثقة، ومن ثم الأناة ويتحمل الجيل بأكمله تبعات العجلة التي تصدر عنه في كافة المجالات ، فتبدد الجهد وتضيع فرص التقارب ، وتغلق أبواب النهوض ، وتصيب بالإحباط عندما لا يدرك ما تعجل من أجله ، وتزيد من فرص تمكن الشيطان وأعوانه من أهلها ، وتفسد الثمار فلا ينتفع بها ، وهذا كله شيء واقع وليس فيه مبالغة .

وسأعرض الآن مجموعة من صور العجلة في واقعنا المعاصر ، ولينظر كل منا في نفسه ، إن كان فيه شيء من ذلك بادر بإصلاحه ، مبادرة المريض المتطلع إلى الشفاء ، ومن تلك الصور و النماذج :

[١] تعجل الرزق الواسع :

فما من شاب - إلا قليلاً - وهو يتمن أن يصبح في يوم وليلة صاحب مال وأعمال، (وربما تقف سُنن الله الثابتة أحياناً في طريق تحقيق طموحاتهم، فيشعرون بالقلق والاضطراب وتبدد الأحلام ، وما علم هؤلاء أن الأرزاق بيد الله ، وأن الاندفاع وراء الأهواء بعجلة ورعونة لا يؤدي إلى تحقيق الآمال والأحلام) (١) .

■ والدعاة برغم أنهم ينبغي أن يكونوا نوعاً ممتازاً من البشر في إيمانهم ، يسير كثير منهم في هذا المسار ، وربما يشغله هذا التعجل عن تنفيذ مهمته ، وربما يبرر لنفسه هذا التعجل أنه يعينه على الدعوة ويجعله أكثر تفرغاً لها إن اتسع رزقه . .

---

(١) انظر : الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ٣ / ١٢٣٨ .

■ وهذا ربما كان صحيحاً ، لكن أقول : يسعى المرء منّا لطلب الرزق كما يسعى كافة الناس ، ولكن ليضع الداعية في حسبانه أنه أحق بالثقة في الله عز وجل ، وأن الرزق ليس بيد الإنسان ، وإنما بيد الخالق جل وعلا ، وإلا فكيف نصرخ في الناس قائلين : إن سلفنا كان أحدهم يقول : (علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأنت نفسي) .

■ وليكن عزاؤنا معاشر الدعاة إلى الله في أولى الفضل ممن سبقوا وعلى رأسهم الرسل والأنبياء وكيف عاشوا راضين بقسمة الله ، ممتنين له أن أعطاهم الدين، فهو دليل حبه لهم ، فهو سبحانه لا يعطي الدين إلا من أحب ، ويعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، كما أخبر المعصوم ﷺ (١) .

■ ومن يدري ما سيكون من حال الداعية الملتزم على قلة ذات يده وضيق عيشه ـ عندما تفتح عليه الدنيا ـ ، سبحان مقلب القلوب ، إن المال له بريق ، وإن الدنيا حلوة خضرة ، وإن أخوف ما خاف النبي ﷺ علينا منه أن تفتح علينا زهرة الدنيا وتخرج بركتها ، فتشغلنا عن الله فيكون مثلنا كمثل البهيمة وجدت مرعىً خصيباً فلم يكن لها هم إلا الأكل والثلط والبول .

فعند البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن أكثر من أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض، قيل وما بركات الأرض. قال: زهرة الدنيا ، فقال رجل: هل يأتي الخير بالشر ؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننت أنه ينزل عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: أين السائل؟ قال: أنا قال : أبو سعيد : لقد حمدناه حين طلع ، قال : لا يأتي الخير إلا بالخير ، إن هذا المال حلوة خضرة ،وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم ، إلا آكله الخضرة ، أكلت حتى إذا أمتدت خاصرتاها ، استقبلت الشمس فاجترت

---

(١) مجمع الزوائد برقم (١٨٠٤) ك الزهد، باب النفقة من الحلال والحرام، وقال رواه البزار وفيه من لم أعرفهم ١٠ / ٥٢٣ .

وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذه المال حلوة ، من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو،ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع) [١].

ولنذكر أنفسنا بقول الشيخ الفاضل / عائض بن عبد الله القرني ـ حفظه الله ـ إذ يقول : (إذا دعتك نفسك لتعجل المال ، فقل لها يا نفس غيرك محبوس في دَين ، وإذا اشتهت سيارة فقل لها غيرك مبتور القدمين ، وإذا شكت مرضاً فقل لها غيرك طريح الفراش منذ كذا وكذا سنة) [٢] .

فلا تحسبن ما قلت سبحة في عالم المثالية ، فإنه مهما طالت الغشاوة فلابد من تكشف الحقائق ، ولكن قد يكون هذا بعد فوات الأوان .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه ربما كان تعجل بعض الدعاة الرزق الواسع وراءه دوافع ، فهناك أياد خبيثة تعمل على الحط من مستوى الدعاة إلى الله وتجويعهم لشغلهم عن دعوتهم فتكون دعوة قشرية ، يقوم بها جماعة من الموظفين المساكين ، لسان حال هؤلاء المكرة يقول : لا تنفقوا على من يدعون إلى الله حتى ينفضوا ، كما قال من قبلهم عبد الله بن أبي ﴿ **لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا** ﴾ [المنافقون : ٧] ، فلنتيقظ معاشر الدعاة ولا نكون أول من يمكّن عدوه من بلوغ غايته منه) .

(اللهم ارضنا بما قضيت وقدرت لنا حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت) .

[٢] تعجل الترقي في المناصب :

(وذلك أن كثيراً من أرباب الوظائف من الرؤساء والموظفين يستعجلون الترقيات الوظيفية أو الحصول على الوظائف القيادية قبل اكتساب التجارب واستحقاقهم لها ، وقد يسلك بعضهم في ذلك أساليب ملتوية كالتقرب إلى من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٢٧) ك الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها .
(٢) لا تحزن : لعائض القرني ، ط مكتبة العكيبان ــ الرياض .

فوقهم من الرؤساء ، أو تحقير المنافسين والحط من شأنهم) [١] .

وحتى في محيط الدعوة وحقلها قد يحصل التقاتل بين الدعاة على المناصب الإدارية ، فهذا منصب مدير الدعوة أو مدير الإرشاد الديني أو . . . وربما يصل الأمر إلى الرشوة والمجاملة والتملق ، أو تحقير المنافسين ، أو تجميع ما يحط من شأنهم ، يُفعل هذا وكأن الدعاة الفاعلين لم يحدثوا الناس يوما عن إثم من يحقر أخاه أو يرميه بما هو منه بريء ، أو دناءة الدنيا وأنها جيفة وطلابها كلابها ، وكأنهم لم يقرأوا يوماً عن النفر الذين بايعوا رسول الله ﷺ في أحلك الظروف علام بايعوه ؟ . ما بايعوه على مناصب، ولا بايعوه على دنيا ، وإنما بايعوه على تحمل مسؤولية الدعوة والعمل من أجلها حتى الموت وحمايتها حتى تبلغ ما أراد الله لها .

قال ابن إسحاق : لما اجتمعوا للبيعة ـ أي في العقبة الثانية ـ قال العباس بن عبادة بن نضله : هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ـ يريد بذلك أن يصحح نيتهم ـ قالوا : نعم ، قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، فقالوا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟ ، قال الجنة ، قالوا ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه [٢] .

وفي رواية جابر قال : (فقمنا نبايعه ، فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين فقال :رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم

(١) الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ٣ / ١٢٣٨ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٤٦ .

وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه ،وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله)[١] ، ثم أين ما نحن عليه من تعجل لحيازة المناصب وما كان عليه سلفنا من عزوف عنها، روي أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه عرض منصب القضاء على نفر من الصحابة وكلهم يرفضه فقال ويحكم ، ولّيتمونيها وتخليتم عني !! وأجبر أحدهم على قبول القضاء !! .

[٣] تعجل إجابة المدعوين للدعوة :

حيث إن كثيراً من الشباب الدعاة يتعجلون عندما يدعون الناس ، يحسبون أنه بمجرد توجيه الدعوة إليهم يستجيبون ، وهذه مشكلة في الفهم.

فطبيعة أكثر الناس أنهم يترددون في قبول أي دعوة ، ولقد فعلوا هذا حتى مع الرسل والأنبياء عليهم والصلاة والسلام ، سنوات طويلة من الدعوة إلى الله ، وليس إلا الصد والإعراض والعداء ، ودعوتهم ليست كدعوة أي إنسان ، إنما هي دعوات مؤيدة بالمعجزات والخوارق ، فضلاً عما تميز به الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - من الطهر والصفاء والنقاء والصدق والإخلاص ، ومع ذلك كانت الإجابات كما يلي :

أجاب قوم نوح نوحاً عليه السلام :

- ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٦٠) ﴾ [الأعراف : ٦٠] .
- ﴿ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ [هود : ٢٧] .
- ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود : ٣٢] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٣٢٢ .

- ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) ﴾ [الشعراء:١١٦] .

وأجاب قوم هود هوداً عليه السلام :

- ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

[الأعراف : ٦٦] .

- ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ [هود : ٥٣ – ٥٤] .
- ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) ﴾ [الشعراء : ١٣٦ – ١٣٨] .

وأجاب قوم صالح صالحاً عليه السلام :

- ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) ﴾ [الشعراء : ١٥٤ – ١٥٥] .
- ﴿ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] .
- ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) ﴾ [هود : ٦٢] .
- ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ [النمل : ٤٧] .

وأجاب قوم إبراهيم إبراهيمَ عليه السلام :

- ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) ﴾ [الصافات : ٩٧] .
- ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ [العنكبوت : ٢٤] .
- ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ [الأنعام : ٨٠] .
- ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٦] .

وأجاب قوم لوط لوطاً عليه السلام :

- ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) ﴾ [الشعراء : ١٦٧] .
- ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) ﴾ [النمل : ٥٦] .
- ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

[العنكبوت : ٢٩] .

وأجاب قوم موسى ، موسى عليه السلام :

- ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : ٥٥] .
- ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) ﴾ [الأعراف : ١٠٩].
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) ﴾ [النمل : ١٣].
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) ﴾ [القصص : ٣٦] .
- ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾ .

[الأعراف : ١٢٧].

- ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) ﴾ [المائدة : ٢٤] .
- ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾ .

[الأعراف : ١٣٢] .

وأجاب قوم شعيب شعيباً عليه السلام :

- ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾ [هود : ٨٧] .
- ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) ﴾ .

[الشعراء : ١٨٥ – ١٨٧].

- ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) ﴾ [هود : ٩١] .
- ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) ﴾ [الأعراف : ٨٨] .
- ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) ﴾ .

[الأعراف : ٩٠] .

وأجاب أصحاب القرية الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إليهم:

- ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ .

[يس : ١٥] .

- ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[يس : ١٨] .

وأجاب قوم عيسى عيسى عليه السلام :

- ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

■ ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) ﴾ .

[المائدة : ١١٢– ١١٣].

وانظر كيف أجاب المدعوون محمداً رسول الله عليه الصلاة السلام :

■ ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) ﴾ [الحجر :٦ – ٧] .

■ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) ﴾ [الدخان : ١٤] .

■ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) ﴾ [الفرقان : ٤].

■ ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) ﴾ .

[الفرقان : ٤].

■ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

[سبأ : ٣١] .

■ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) ﴾

[فصلت : ٢٦] .

■ ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) ﴾ .

[الزخرف : ٣١] .

■ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) ﴾ [فصلت : ٥].

- ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان :٨].
- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) ﴾ [سبأ : ٤٣] .
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [المائدة : ١٠٤].
- ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١٢٤].
- ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣) ﴾ [الإسراء : ٩٠ - ٩٣] .

كانت هذه الأجوبة من الأقوام للرسل بعد مشاهدة المعجزات والآيات الواضحات ، وبعد التودد إليهم بأنهم يخافون عليهم العذاب ، وأنهم لا يسألونهم أجراً ، ولا يطمعون في شيء مما عندهم .

فهل أنت أخي المتعجل أفضل من هؤلاء الرسل والأنبياء ؟ وهل أديت ووجهت دعوتك بنفس منهجهم في الأداء ؟ وهل أجابك من تدعوهم بنفس تلك الأجوبة ؟ .

أنا أعرف أنك تتعجل إجابتهم لأنك تحب لهم الخير ، ولكن لا يحملنك هذا على اليأس منهم ، ولا إصدار أحكام جزافية عليهم ، واستمر في دعوتك على بصيرة وأناة ، وكلما رأيت شارداً أو صاحب معصية فذكر نفسك بنعمة الله

عليك أن هداك ، وقل لها :

■ ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء : ٩٤] .

■ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ .

[الأعراف : ٤٣].

[٤] التعجل في طلب العلم :

(حيث يتعجل بعض الطلاب في طلب العلم سواءً كان ذلك في الحصول على الشهادة العلمية ، أو في حالة التأليف ، ويسلكون في ذلك مسالك تتنافي مع أمانة العلم وآدابه ، طمعاً في الحصول على الوظائف والمكانة الاجتماعية ، وهذه العجلة المذمومة من أسباب ما يحدث لبعض طلبة العلم من التعثر الدراسي أو ضعف المستوى العلمي) (١) .

ومن الآثار السلبية الخطيرة للتعجل في طلب العلم أن المتعجل يحرم من اكتساب مهارة الإبداع والابتكار (في حين أن المجتمع المسلم في حاجة إلى الإنسان المفكر الذي يميل إلى الابتكار والإبداع لأن المجتمع بهذه العناصر يرتقي) (٢) .

كما أن المتعجل في طلب العلم يحرم من تعلم مهارة النقد الموضوعي (في حين أن مهارة النقد تمكن المتعلم من أداء عمله في يسر وسهولة ، وتكوين بصيرة عقلية وعلمية للتمييز بين المفاهيم الصحيحة والمفاهيم الدخيلة في الإسلام، وتمحيص الحقائق وقراءة الحياة في ضوء السنن الربانية التي لا تختلف ، وتمكنه أيضاً من النقد الذاتي ، وهذا الأسلوب من التفكير يحمل صاحبه المسؤولية في جميع ما ينتهي إليه ، وتتيح له الفرصة للتفكير العميق ، وتمكنه من سعة الأفق وبعد النظر ، والإدراك العميق لمغازي الأمور ، كما تحميه من

---

(١) الموسوعة الجامعة في الاخلاق والآداب ٣ / ١٢٣٧ .

(٢) مهارات التربية الإسلامية : د / عبدالرحمن بن عبد الله المالكي ص ١١٧ كتاب الامة عدد ربيع الأول١٤٢٦ هـ .

العشوائية والسطحية .. وقد كان الشافعي رحمه الله يعتبر المتعجل الذي يجمع العلم بدون نقد وتمحيص كمن يجمع حزمة الحطب في الليل ، قال رحمه الله : هذا مثل حاطب ليل يقطع حزمة الحطب ، فيحملها ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري) [١] .

كذلك يحرم المتعجل في طلب العلم من اكتساب مهارة حلّ المشكلات ، (في حين أن المتعلم بحاجة إلى معرفة خطوات التفكير العلمي لمعرفة السبيل الأمثل في مواجهة المشكلات ، وقد كان علماؤنا يدربون الطلاب عليها ، فقد روي أن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فقال له : إني دفنت شيئاً ولا أدري أين دفنته من البيت ، فقال أبو حنيفة ، وأنا حرّي أن ألا أدري به، فبكى الرجل ، فقال أبو حنيفة لتلاميذه ، قوموا بنا ، فقاموا معه ، فأتى بهم الرجل إلى منزله ، فقال أبو حنيفة لأصحابه: لو كان لكم هذا البيت ومعكم شيء تريدون أن تدفنوه ، فأين تضعونه ؟ فقال أحدهم : كنت أدفنه هنا ، وقال آخر : وأنا كنت أدفنه هنا ، حتى قالوا خمسة أقوال ، فحفر منها موضعين ووجده في الثالث ؛ وقال للرجل: (اشكر الله الذي رده عليك) فمهارة حل المشكلات تساعد على ربط الإسلام بالواقع ربطاً قائماً على كون الإسلام حلاً لمشكلات الواقع وبناء لكيانه أفراداً وجماعات ودولاً ، وسداً لحاجاته المتجددة .. ومهارة حل المشكلات تمكن المتعلم من القدرة على تحليل المشكلات التي يتعرض لها الشباب وتتعرض لها المجتمعات الإسلامية ، كما تعينه على ابتكار أساليب المعالجة التي تلائم روح العصر [٢] .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٣-١١٦ بتصرف وإيجاز .

(٢) انظر مهارات التربية الإسلامية ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، وأخبار أبي حنيفة وأصحابه : لأبي عبد الله حسين بن علي الصميري ص ٢٧ مطبعة المعارف الشرقية بالهند ١٣٩٤ هـ , وتدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته للدكتور محمد صلاح الدين مجاور ص ١٢٩ ط دار القلم ــ الكويت١٣٩٦ هـ .

وهكذا يحرم المتعجل في طلب العلم من هذه المهارات التي تعتبر بمثابة ركائز أساسية لعمل الداعية ، وبالتالي يترتب عليه ضعف مستوى الدعاة .

[٥] التعجل في التصدر للدعوة :

كثير من الشباب قد تأخذه الحمية والحماس فيتصدر للدعوة قبل أن يُعد عدته، وقبل أن يعرف مناهج الدعوة وأساليبها ، ووسائلها ، وأهدافها وغاياتها ، وقبل أن يُحصل الزاد الكافي للتصدر للدعوة .

إن الشباب الذي يرى فيه حماس للدعوة ينبغي أن يُوجه ويحظى باهتمام أكثر من غيره ، ولكن عليه إن تصدر للدعوة قبل إعداد عدته الكافية ألا يطرق موضوعات لم يهضمها ولم يستقص أبعادها،كقضايا الخلاف والتكفير ونحوها، فلا يتكلم فيها إلا بعلم ، وعلم واسع.

وقد تحدث علماء الحديث عن السن التي يشترط بلوغها لمن أراد التصدي للحديث فقال بعضهم أربعين وقال بعضهم خمسين ، والصحيح أنه متى احتيج إلى ما عنده جلس في أي سن كان [١] ، وانظر إلى قول المحدثين (إلى ما عنده) هذا يعني أنه صاحب علم بدليل أنه احتيج إليه ، ويؤخذ من هذا أن الداعية ينبغي أن لا يتعجل في التصدي للدعوة قبل نضوجه علمياً حتى لا يضر بالدعوة أكثر من أن ينفعها .

[٦] التعجل في تجميع الجماهير :

من صور التعجل في المجال الدعوي في الوقت المعاصر ، التعجل في تجميع الجماهير حيث يتعجل كثير من الدعاة في تجميع الجماهير ، وشحنها عاطفياً نحو الدعوة ، وهذا أمر له خطره ، فشحن الجماهير قبل إعدادها وتوجيهها التوجيه الكامل وتبصيرها بطبيعة الدعوة وأنها ليست دعوة للعنف ولا لمعاداة الناس ولا لإظهار العنترية والاجتراء. ولا لإبراز القدرات العلمية والتفاصح على

(١) انظر : تدريب الراوي : للسيوطي ٢ / ١٢٧ ، ١٢٨ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٨٨ .

الناس ، وإنما هي دعوة لاستنقاذ الناس من النار ، دعوة لتنظيم الحياة وحفظ الحقوق ، دعوة لتعليم الناس الخير، دعوة لتوثيق الصلة بين الجماهير وبين خالقها - جل وعلا - .

(فتجميع الجماهير بالشحن العاطفي دون تربية حقيقية ترتب عليه نتائج خطيرة في سير الدعوة ، حين تنزعج السلطات المحلية والعالمية ، فتغضب وتضرب ..) [١] ، (ولقد كان النبي ﷺ حريصاً على عدم التعجل في تجميع الجماهير وفي وقت المحنة والإيذاء ، فكان كلما أسلم رجل وأراد مرافقته قال له : ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي ظهرت فأتني) [٢] ، وبالطبع لن يرجع هذا الذي أسلم لينام في وسط قومه !! وإنما يعود ليقوم بالدعوة فيهم ، وها هو واحد ممن أسلموا فقال لهم النبي ﷺ ارجعوا إلى أهليكم حتى تسمعوا بظهوري : أبو ذر الغفاري رضي الله عنه (رجع إلى قومه فأسلم نحو نصف قبيلة غفار على يديه قبل الهجرة ، وأسلم نصفها بعد الهجرة) [٣] .

فلو أن العاملين في ميدان الدعوة اليوم وعوا هذا الدرس ، وجعل كل يعمل من قِبَله في إطار مدروس على توسيع الأرضية المتينة التي تقوم على بعد النظر والأناة وعدم التعجل في حشد الجماهير وهي فارغة طائشة فتضر أكثر مما تنفع ، لكان خيراً .

[٧] التعجل في التغيير :

من خلال الأحداث والسنين التي مر بها العمل الإسلامي في الآونة الأخيرة ، يرى كثير من الباحثين أن أفضل طريقة للتغيير هي التربية المعمقة ، وليس التعجل والثورة والمصادمة .

---

(١) كيف ندعوا الناس : محمد قطب ص ١٧٠ ط دار الشروق ــ القاهرة ــ بتصرف .
(٢) السيرة النبوية ١ / ٢٧٨٠ بتصرف .
(٣) انظر السيرة النبوية الصحيحة : لأكرم العمري ١ / ٤٥ .

يقول الأستاذ / فهمي هويدي:

(إذا كنا قد اتفقنا على أن الإسلام عقيدة قبل أن يكون شريعة ، وإذا كنا لا نزال نذكر أن الرسول ﷺ قضى ثلاثة عشر عاماً في مكة مركزاً كل جهده في إعداد البشر وتثبيت الإيمان في قلوبهم قبل الانتقال إلى المدينة وإقامة الدولة ، وإذا كنا واعين لذلك فينبغي ألا يتزحزح يقيننا بضرورة البدء بإعداد الإنسان المسلم أولاً بالاطمئنان إلى سلامة الغرس وصحتها ثم رعايته حتى لا ينعدم وتغيب آمالنا في الثمار والحصاد .. ولتكن قضية إعداد الجيل المسلم في مناخ صحي هي شاغلنا : إذا كنا جادين في الدعوة إلى إقامة المجتمع الإسلامي وهي رحلة طويلة وشاقة ولكنها السبيل الأمثل لبلوغ هذا الهدف)[1] .

ويقول الدكتور / عبد المنعم النمر ـ رحمه الله ـ :

من الضروري أن نقرر أن موضوع وضع الشريعة في قوالب قانونية تحكم البلاد ليس هو كل شيء ، وليس نهاية المطاف ، إذا لابد أن نعني عناية خاصة بإيجاد أرضية خصبة وطيبة تقوم عليها هذه القوانين ، وتضمن لها النمو والازدهار ، فالأحكام الإسلامية كالساق والفروع لشجرة لابد لها من تربة طيبة .. هذه التربة في نظري هي التربية الإسلامية التي تسيطر على النفوس ، إذ لا يمكن أن تقوم هذه التشريعات على سوقها وتأخذ احترامها وتقديرها التام في النفوس ما لم تكن هناك روح إسلامية وتغذية قرآنية تربي النفوس على مثلها العليا وتدفعها دائماً إلى الصعود للكمال الإنساني) .

ويقول الدكتور / محسن عبد الحميد:

(واليوم وبعد التجارب التي مرت بها محاولة التمكين للوعي الإسلامي في بلاد الإسلام لابد للعقلاء أن يدركوا سنن الله في الوجود ويفهموا طبيعة العصر

---

(١) القرآن والسُّنَّة ، هموم إسلامية معاصرة : أ/ فهمي هويدي ، ص ١١٧ ، ط دار الشروق ، القاهرة ١٩٨١ م .

وكيفية إحداث التغيير فيه فينصرفوا إلى بناء القاعدة بعلم وتخطيط وذكاء ، ويبتعدوا عن الخوض في المضاربات السياسية والاصطدامات الفوقية لكي يتفرغوا إلى القيام بالمهمة الأساسية، مهمة تربية المجتمع الإسلامي على الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً) [١] .

ويقول الشيخ / محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ :

(بعض الناس .. أول ما يفكر فيه ضرب الحاكم ، وهذا إنسان فيه بلاهة ، لأن آخر ما يفكر فيه المصلح تغيير أجهزة الحكم) [٢] .

ويقول الدكتور / سعيد إسماعيل علي :

(.. شهدنا جماعات عدة خاصة بين الشباب تجنح إلى مسالك تصوروها تقربهم إلى النهوض بالأمة، فإذا بهذه المسالك تنتج العكس، ودخلوا في صراع مع السلطة بتصورهم أن نجاحهم لا يحمل إلا معنى واحداً هو امتلاك السلطة، وإذا كان من حق كل مواطن أن يحلم بامتلاك السلطة إلا أن هذا النفر سعى إلى العنف والترهيب، فإذا بالخسائر المترتبة على هذا الصراع المتكرر في كثير من أرجاء العالم الإسلامي لا تقل خطورة عن خسائر البلدان المتحاربة في آسيا وإفريقيا، فالأطراف كلها مسلمة والرابح هو العدو المتربص في كلتا الحالتين، وارتبط بهذا شيوع صور من التطرف والغلو تقوم على مقولة ترى (إما الإسلام كله وإما تركه كله) ولو قصد بهذا الإيمان الكامل بكل ما جاء في القرآن والسُّنَّة المطهرة ، فهذا حق، لأننا مكلفون بالإيمان بالكتاب كله، ولعل الخلط بين هذه القضية وقضية تطبيق الإسلام ـ وفق الاستطاعة ـ هو علة الغلو والفهم الخاطئ)[٣] .

---

(١) فقه الأولويات : محمد الوكيلي ص ١٩٥ ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٧ نقلاً عن مقال حول العمل الإسلامي مراجعة وتقويم . بمجلة الأمة ص ٨ عدد ٤٩ لسنة ١٤٠٥ هـ .

(٢) فقة الدعوة ملامح وآفاق : للشيخ / محمد الغزالي ، سلسلة الأمة .

(٣) الخطاب التربوي الإسلامي : د / سعيد إسماعيل على ص ٦٣- ٦٤ سلسلة الأمة ، عدد ١٠٠ .

وبالطبع فإن هذه التربية العميقة التي هي أساس التغيير والإصلاح تحتاج إلى أناة وصبر ولا تجدي العجلة فيها شيئاً ، وفعلاً قد وجد في بعض فصائل العمل الإسلامي من يسلك منهج التربية ، ولكن التعجل كان سبباً في تضييع الجهود .

هذه بعض صور ونماذج للتعجل في واقعنا المعاصر ، ولعل الدوافع وراءها واضحة من أهمها :

[١] غياب الوعي الإسلامي الصحيح المتكامل .

[٢] غياب القدوة الرشيدة في مجالات التربية .

[٣] كثرة الضغوط وزيادة جرعة الاضطهاد وطول فترة المحنة .

[٤] الجهل الفاضح بالسُنن الإلهية في الكون ومنها التدرج .

[٥] وزن الأمور والأحداث وزناً سطحياً دون النظر في العواقب .

[٦] عدم وضوح الأبعاد والأهداف لكثير من الشباب .

ولعلنا من خلال النظر في الصور والنماذج التي تم عرضها للتعجل في الوقت الحاضر ودوافعها يمكن أن نخلص إلى الآثار السلبية التي تترتب على العجلة في الدعوة لمحاولة وضع العلاج المناسب ، وهذا ما سيكون حديثنا عنه المبحث التالي ـ إن شاء الله ـ .

المبحث السادس
الآثار السلبية للتعجل في الدعوة وعلاجها

لعلنا من خلال العرض السابق لمعاني العجلة وشواهد ذمها في القرآن والسُّنَّة، وذكر نماذج وصور لها سواء كانت في عهد النَّبيّ ﷺ أو في واقعنا المعاصر ، قد تكشف لنا الآثار السلبية التي تترتب على العجلة ، ونحاول في هذا المبحث أن نعددها بشكل مختصر،ثم نجتهد في وضع علاج مناسب مع عظيم الرجاء في الله تعالى أن يخلصنا من حماقة التعجل والاندفاع، وأن يرزقنا الحلم والأناة ، فهو وحده الذي يملك شفاء الأمراض ومداواتها، ولكن لابد من مبادرة من شعر بالمرض أو شخص له داؤه بأخذ العلاج والسعي في طريقه كما قال ﷺ : **(ما أنزل الله من داءٍ إلا وأنزل له دواءً ، علمه من علمه وجهله من جهله)** [١] وفي رواية **(فتداووا)** [٢] .

أو لاً : الآثار السلبية للتعجل في الدعوة :

[١] تشويه صورة العمل الإسلامي :

فمما هو واضح ومشاهد أنه إذا كثر التعجل من العاملين في الدعوة وبدت خطواتهم في الدعوة متهورة ، سواءٌ على الصعيد الداخلي فيما بين العاملين بالدعوة أو على الصعيد الخارجي في مواجهتهم للمدعوّين ، فأما صورة العمل الإسلامي داخلياً فقد غدت مشوهة من جراء التناكر والتدابر والاختلاف والفرقة التي دبت بينهم لتعجل بعضهم في الحكم على بعض ، فالفصيلة الفلانية

---

(١) مجمع الزائد برقم (٨٢٧٦) ك الطب , باب خلق الداء والدواء , وقال رواه أحمد والطبراني ورجال الطبراني ثقات ٥ / ١٣٧ ، وقال المحقق عبدالله الدرويش (وإسناد أحمد صحيح أيضاً برقم (٣٩٢٢) .

(٢) مجمع الزوائد برقم (٨٢٧٥) ك الطب ,وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا عمران العمي ٥ / ٦٣٧ .

ليس لها همّ إلا إبراز مثالب ومساوئ الفصيلة الأخرى ، وإصدار المطويات بل والكتب من أجل التشهير وكشف اللثام كما يسمونه !! .

■ وأما عن صورة العمل الإسلامي في أعين المدعوّين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فليست أحسن حالاً من سابقتها فهي صورة مهلهلة ، ربما دعت كثيراً من الناس إلى الإحجام عن مناصرة العمل الدعوي مادام أكثر القائمين به تتسم أكثر أعمالهم بالتعجل والحماقة والخطوات غير المدروسة على هذا النحو .

■ فضلاً على ما يترتب على التعجل من أعمال تمكن أعداء الدعوة من تشويه صورتها عالمياً، بل قد يفتعل خصوم الدعوة المواقف لإثارة العاملين للإسلام ليبنوا على مواقفهم المتعجلة النتائج التي تكون ضد الدعوة لا في صالحها .

■ ثم بعد ذلك يُشهر بأنها دعوة العُنف والإرهاب وسفك الدماء ، وعدم الاعتراف بالآخر . . ونحو ذلك من التهم .

■ جدير بالذكر أن خصوم الدعوة أهل كذب ونفاق فهم لا يقفون عن حد ذكر أخطاء الحركات الإسلامية فقط وإنما شأنهم شأن الجن عندما كانوا يسترقون السمع فيكذبون معه مائة كذبة .

وقد يقول قائل إن ترصد خصوم الدعوة لتشوية صورتها إعلامياً أمر ليس بالجديد ، فقد ترصدوا الدعوة أيام النبي ﷺ وشنعوا عليها في أكثر من موقف ، مثل ما حدث عندما بعث النبي ﷺ سرية قبل بدر بشهر لترصد عيراً لقريش فقتلوا وأسروا وغنموا القافلة وكان ذلك أول يوم من رجب وهو شهر حرام وهم يظنون أنه من جمادى الآخرة ، فقالت قريش : استحل محمد الشهر الحرام الذي يأمن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس إلى معايشهم فنزل قوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه** ﴾ [البقرة : ٢١٧] [(١)] . . . (وهذا يعني أنهم لن

(١) انظر أسباب النزول : للواحدي النيسابوري ص ٣٦ ط دار الفكر ــ بيروت ٢٠٠١ ، والآية رقم ٢١٧ من سورة البقرة .

يكفوا عن التشهير بالدعوة وتشويه صورتها ، ـ قلت : جواباً على القول السابق ـ ولكن ماذا فعل النبي ﷺ بعد ذلك هل طرح محاولات المشركين وخصوم دعوته ولم يبال بها ؟ .

■ لا ، بل إنه كان يجتهد كثيراً في أن لا يمكنهم من الإشاعة حولها ، وإن أشاعوا فلا تكون إشاعتهم صادقة ، والمواقف التي أسلفناها من قبل واضحة في إثبات ما قلت ، يقول لعمر رضي الله عنه : (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) [١] .

■ فيجب على كل عامل في سبيل الدعوة أن يحرص على صورتها وأن لا يمكن الخصوم من تشويهها .

[٢] تضييع الجهود المبذولة في العمل الدعوي :

من أخطر الآثار التي تترتب على التعجل في الدعوة تضييع الجهود المبذولة في العمل الدعوي ، فقد تبذل جهود طيبة ، ولكن سرعان ما تبددها العجلة ، وتذهب بها ، ولعل الحكمة من تأخير الإذن بالقتال ، وخوض المعارك قبل أوانها ـ في العهد المكي ـ كانت واضحة في أنها من أجل الحرص على عدم تبديد الجهود .

■ ومعلوم أن الحركات الإسلامية منذ سنوات مضت ـ قبل أن تضرب ـ كانت قد بذلت جهوداً طيبة وقطعت شوطاً محترماً في العودة بالأمة إلى الدين ، ولكن سرعان ما تعجلت بعض الفصائل وخرجت بما يسمى بالجناح العسكري ، وحاولت أن تتعرض للناس في الشوارع ، وتعدت على السلطات ، فلم تقف السلطات مكتوفة الأيدي بل رأتها الفرصة المناسبة للتخلص من هذا المد الإسلامي وإيقافه ، فانهالت الضربات الموجعة التي شتت الجهود المبذولة ومزقتها

---

(١) سبق تخريجه .

كل ممزق .

يقول الشيخ / محمد قطب ، حفظه الله :وهو يرصد خطوات الحركة الإسلامية

(كان من المتوقع أن يتأخر الصراع عن موعده الذي وقع فيه ، بحيث يعطى فرصة أكبر لتربية القاعدة الصلبة ، ثم تربية القاعدة الموسعة بالقدر المتاح من التربية ، ثم إنه حين كان يقع على قوم كفوا أيديهم ولم يعملوا شيئاً إلا أن يقولوا ربنا الله ، فإن هذا كان سيعجل في تنمية وعي الجماهير بحقيقة القضية ، فلا تلتبس في ذهنهم بغيرها من القضايا التي تلبست بها بالفعل، وكان سيصعب على الطغاة تطويع الجماهير لهم من خلال القهر مرة ، ومن خلال وسائل الإعلام المزيفة مرة ،حين تستبين سبيل المجرمين بتفصيل الآيات على المنهج الرباني القويم ، ويعرف الناس على أي أساس يقررون مواقفهم .. والذي حدث بالفعل على خلاف ذلك .. عندئذٍ بدأ الهجوم الوحشي على الحركة بأبشع صورة : يمكن أن تخطر على البال)[١] .

[٣] تعطيل مسيرة العمل الدعوي :

ذلك لأنه إذا تسببت العجلة في ضياع الجهود المبذولة فإن هذا يعني أنه عند الإفاقة من غيبوبة الضربات القاسية التي بددت الجهود سيجد العاملون للإسلام أنفسهم بحاجة للعمل من أجل إعادة البناء الذي تصدع ، وهذا يعني الرجوع بالدعوة عشرات السنين إلى الوراء .

وهذا مصداق قوله (إن المنبت لا أرض قطع ولا ظهراً أبقى)[٢] .

فهذا شأن المتعجل في السير يرهق نفسه وفرسه فيتعب ويُتعب فرسه ربما في ربع الطريق أو منتصفه فلا هو بلغ غايته ولا احتفظ بشيء من القوة له ولفرسه

---

(١) الشيخ / محمد قطب : كيف ندعو الناس ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي برقم (٣٨٨٥) و كشف الخفاء للعجلوني برقم (٢٣٣٩) وقال روي عن جابر ابن عبد الله موصلاً ومرسلاً والراجح إرساله .

تعينه على مواصلة السير لبلوغ غايته !! .

مثال ذلك: عندما وصل أبناء الحركة الإسلامية في أفغانستان إلى الإمساك بزمام الأمور فيهم ، كان هذا يعتبر نجاحاً باهراً في مجال العمل للإسلام ، ولكن حدث أن تعجلوا في كثير من الأمور لفتوا بها أنظار خصوم الدعوة فتوجهت إليهم ، توجه الحاقد الحاسد وبددوا جهودهم فما كان مصير العمل الدعوي هناك ؟ ، تعطلت مسيرته ، وأفقرت الأرض - هناك - من أبسط صور الحياة ، فكيف بالدعوة ؟ وهذا يعني أن أمامهم عشرات السنين من أجل أن ينهضوا ببلادهم ودعوتهم !! .

وفي البلاد العربية: لما ضربت حركة الصحوة الإسلامية ، وتبددت كثير من الجهود وأفاق من بقي من أبناء الصحوة على آثار الخراب الذي ترتب على العجلة ، تعطلت مسيرة عملهم الدعوي إلى حد ليس بالقليل ، ودخل بينهم من أفسدوا الصف من أصحاب النوايا المغرضة ، حتى صار بأسهم بينهم شديد .

■ وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ [الكهف : ٢٠] .

■ ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) ﴾ [الممتحنة : ٢] .

[٤] كثرة الإخفاق :

من الآثار التي تترتب على العجلة - أيضاً - كثرة الإخفاق ، ذلك أن المتعجل في الغالب لا يضبط عمله ، ولا يحسن حسابات أموره ، وأي عمل يتم بهذه الطريقة مآله إلى الإخفاق والفشل .

■ ولعل الحكمة تدعو الإنسان العاقل إذا تعجل في أمر فأخفق فيه أن يتأنى فيدرس أسباب إخفاقه دراسة موضوعية بحثاً عن أسباب الفشل ، ثم يقوم

بتلافيها في ما يستجد من أعمال

ولكن المتعجل يفقد هذه الحكمة ، فيندفع لإجراء تجارب محتومة النتائج وبذا يتكرر الإخفاق ، وربما تؤدي كثرة الإخفاق إلى اليأس ، أو إلى مزيد من العنف والتهور .

[٥] الاضطراب وعدم الاتزان في العمل الدعوي :

وهذا من أخطر آثار التعجل ، لأن المتعجل قلق مضطرب ، ومن ثم لا يكون عمله متزناً ، فكل همه أن يحصل على النتائج ، وهذا يشغله بالدرجة الأولى عن وضع المقدمات الصحيحة التي توصل إلى النتائج .

ولذلك كان سيد الدعاة يوجَّهُ من قبل الله تعالى إلى الحرص على بذل المقدمات الصحيحة مع ترك النتائج لوقتها . أو تسليم أمرها لمدبر الكون ، قال له مولاه ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ** (٢١) ﴾ [الغاشية : ٢١] ، التذكير هو المقدمة ﴿ **لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** (٢٢) ﴾ [الغاشية : ٢٢] حتى ترى نتيجة تذكيرك .

■ وفي ظلال العجلة نرى أكثر الدعاة يرقبون النتائج . ويتطلعون إلى رؤية أثر دعوتهم ونتيجة الاستجابة لها ، في حين أنهم قد يغفلون عن الاهتمام بالمقدمات التي هي بمثابة الوسائل التي توصل إلى الغايات .

■ وهذا لا يعني أن يكون الداعية بغير هدف يرقبه من دعوته ، وإنما يعني بمعنى أدق أن يبذر أولاً ثم ينتظر الحصاد ، ولابد أن يعتقد هذا الباذر أنه قد يحصد ، وقد يحصد من بعده .

قال الأستاذ / سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

كما يقع لأصحاب المذاهب ، والمناهج الأرضية من البشر الفانين الذين يعتسفون الأمر كله في جيل واحد ، ويتخبطون على الخط الطبيعي الهادئ المطمئن البعيد ، وفي الـ (إن أيسر ما في المنهج الرباني أنه وهو يضع في حسابه

البلوغ إلى القمة السامقة لا يعتسف الطريق ، ولا يستعجل الخطى ، ولا يتخطى المراحل ، إن المدى أمامه ممتد فسيح لا يحده عمر فرد . ولا تستحثه رغبة فان يخشى أن يعجله الموت أو الفوت عن تحقيق غايته البعيدة طريق المتعسف الذي يسلكونه تقوم المجازر وتسيل الدماء ، وتحطم القيم وتضطرب الموازين ، وتبرر الغاية الوسيلة ، ثم يتحطمون هم في النهاية تحت مطارق الفطرة التي لا تصمد لها الأجهزة المصطنعة العسوف)[١] .

وهذا كلام جيد يوضح بعبارة بليغة رائعة ـ ما أشرت إليه ـ من أن الداعية ينبغي أن يضع في حسابه أنه قد لا يحصد ثمرة عمله في الدنيا ، فلا يعجل فقد يجنيها غيره من بعده ويجدها هو في الآخرة كاملة غير منقوصة .

فالداعية إذا اشتد حرصه على أن يدرك نتيجة التغيير والإصلاح الذي يسعى إليه في جيل واحد يضطرب في الغالب عمله ويفقد اتزانه ، لأن العجلة تدفعه دفعاً ليرى الكون وقد تغير حاله وتبدل نظامه على يديه هو!! .

أما الوعي المتأني فيه فإنه يخرج مضبوطاً متزناً،فقد كان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يعملون بهذا الوعي ، هذا أحد الصحابة يزرع شجرة من الأشجار التي لا تثمر إلا بعد زمن ، فيراه أحد الشباب ، فيقول له بروح المتعجل ـ أتغرس هذه وترجوا ثمرها ؟ (يعني أنه تقدم في السن وهي لن تثمر إلا بعد زمن) .

فقال له : وما عليَّ أن أغرسها فأموت ، فتثمر فيأكل منها من بعدي فيدعو لي ، فيبلغني دعاؤه في قبري .

■ وهكذا ينبغي أن يعتبر كل داعية عمله في الدعوة بمثابة البذرة ، وإن طال به الأجل إلى يوم الحصاد ، فليفرح وليحمد الله وإلا فسيقطف الثمار من

---

(١) سيد قطب : هذا الدين ص٣٧ ـ ٣٨ بتصرف ، وانظر محمد السيد يوسف : التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ص ٢٣١ ط دار السلام ـ القاهرة ١٩٩٧ م .

بعده وسيدعون له ويواصلون عملهم بعمله ، وإن تعجل الحصاد قبل نضج الثمار أفسدها ومن ثم يُحرمها ، ومن ثم قيل (من تعجل الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه) .

[٦] التفرق والتشرذم :

فإن العجلة تفسد الرأي ، وإذا فسد الرأي دب الخلاف والتنازع ، ففي الغالب لا تجد صاحب رأي فاسد إلا وهو معجب بنفسه ، ومن ثم يحصل التفرق والتشرذم .

[٧] التعرض لغضب الله تعالى ورسوله ﷺ :

ذلك أنه لما كان الله تعالى ورسوله ﷺ يحبان الأناة التي هي ضد التعجل بكل معانيها من الحلم والرفق والبطء فهذا يعني أنهما يكرهان التعجل بمعانيه ، كما قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس : **(إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة)** [١] . ومعاذ الله أن يحب الله الشيء و ضده .

وعلى هذا فالمتعجل ـ علي حسب نتائج تعجله ـ قد يتعرض لغضب الله ورسوله ﷺ ، وهذا يؤدي بدوره إلى الحرمان من العون والتأيد الإلهي

[٨] لحوق الندامة :

ومن آثار التعجل ـ أيضاً ـ لحوق الندامة بالمتعجل ، فكما قال ابن حبان رحمه الله (العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ، لأن الزلل مع العجل) [٢] .

■ وبمطالعة تاريخ السلف ننظر في تجاربهم ، نجد ـ مثلاً ـ القراء ـ وهذا اسم

---

(١) رواه الإمام أحمد ٤ / ٢٠٥ , ٢٠٦ , وأبو يعلي (٦٨٤٨) والهيثمي في مجموع الزوائد (١٦٠٥٩) وقال (رواه الطبراني من طريقيني رجال أحدهما رجال الصحيح ..) .

(٢) انظر الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب : للدكتور / سعود بن عبد الله الحزيمي ٣ / ١٢٣٤ ط دار الفجر للتزيع والنشر القاهرة ٢٠٠٥ نقلا عن روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان .

كان يطلق على الدعاة فهم المتصدون للإقرار ولتعليم الناس في المساجد ووعظهم على المنابر . ونحوه ، ولما كانت الفتن في عهد الدولة الأموية وخرج عليها من خرج كا ابن الأشعث والخوارج والمختار الثقفي . . وغير ذلك ، وكان الظلم قد فشا ، فخف قوم من القراء وتعجلوا إزالة هذا الظلم وتغييره فخرجوا في الفتن كسعيد بن جبير ومسلم بين دينار والشعبي وغيرهم فقتل منهم من قتل ، ومن بقي أصابه الندم على ما كان .

قال مسلم بن دينار ـ رحمه الله ـ :

(ما أحد خرج في الفتن فُرغب له عن مصرعه إلا ندم)[١] وتمنى أن لم يكن تعجل فخرج في الفتن .

■ وكثير من قادة العمل الإسلامي الآن ممن امتلأت بهم السجون والمعتقلات ربما أصابه الندم ، ليس على سجنه ، ولكن على ما آلت إليه الحركة الإسلامية ، وربما اضطروا في بعض المواقف أن يعلنوا التوبة وأصدروا كتباً لتصحيح المفاهيم من داخل السجون ، واستغلت هذه الإصدارات ليس لتصحيح المفاهيم وإنما للتشهير بالحركة الإسلامية وأنهم أعلنوا خطأهم ، وليس في هذا عيب ، وإننا لنعذرهم كما قال النبي ﷺ : **(لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته)**[٢] .

ولكن نقول أما كان التبصر والتأني أولى ، وعلى كل ففي الإمكان أن نستفيد في المستقبل حتى لا يتكرر الندم .

[٩] التعرض للسخرية والازدراء :

ومن آثار التعجل السلبية ، أن يتعرض المتعجل للسخرية والازدراء ، فيصبح

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٧٥ .

(٢) البخاري برقم (٣٣٨٧) ك الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [يوسف : ٧] .

في موقف لا يحسد عليه ، لأن المتعجل محل ازدراء العقلاء ، لأنهم يعدون العجلة حمقاً وسفهاً .

كان الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ يقول : (.. العجلة سفه ، والسفه ضعف ، ومجالسة أهل الدناءة شين ...) (١) .

وقال ابن الأعرابي : (لا يوجد العجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ولا الملول ذا إخوان ..) (٢) .

وقال الأحنف بن قيس يوماً لغلام ـ كان يرى فيه النجابة ـ أيسرك أن لك ألف دينار وأنت أحمق ؟ .

فقال الغلام : لا ، قال له : ولِمَ ؟ ، قال : لأن الحمق يذهب بالمال ويبقى على الحمق والفقر !! .

وقال الدكتور / السيد محمد نوح :

(فمن عرف عنه العجلة في الرأي والحكم ، أو عدم التثبت أو التبين ، ينظر إليه الناس على أنه أرعن أحمق ، ومثل هذا يسحب الناس ثقتهم منه ، بل وينفرون منه ويكرهونه بشدة ، وإذا ذهبت الثقة ، وكان النفور والكراهية ، لم يعد في يد المسلم ما يكسب به الأنصار أو المؤيدين) (٣) .

وإذا كان الأناة والحلم تكسبان المتحلي بهما هيبة ووقاراً واحتراماً فإن العجلة تسقط هيبة صاحبها ، وإذا سقطت هيبة الداعية ، لم يعد له مكان في القوم ولا تقدير في الأعين فكيف يستجاب لدعوته ؟ .

ثانياً : مقترحات لعلاج التعجل :

[١] علاج الأسباب والدوافع النفسية التي تدعو إلى العجلة ، من نحو

(١) سير أعلام النبلاء : للذهبي ٤ / ٤٥٧ ط مكتبة الصفا ـ القاهرة ٢٠٠٣ .
(٢) الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ٣ / ١٢٣٤ .
(٣) آفات على الطريق : للدكتور / السيد محمد نوح ٢ / ١٥٣ ط دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٨٨ .

الإعجاب بالنفس واتباع الهوى ، والغرر والميل إلى الطبع البشري المفطور على العجلة .

وهذا يتسنى علاجه من خلال معرفة حقيقة النفس وأنها مفطورة على العجلة ، وعلى الخطأ ، ولكن يمكن تهذيبها ، ثم من خلال تربيتها بالأخلاق الإسلامية الراقية ، وكذلك برياضتها وتعويدها على الأناة والحلم ، وإنما الحلم بالتحلم ، قال الأحنف : (لم أكن حليماً وإنما كنت أتحالم)[١] .

[٢] النظر في عواقب المتعجلين : سواء الأقوام الذين استعجلوا نزول العذاب فحل بهم ، أو من خلال النظر في المآلات التي آل إليها بعض المتعجلين من الدعاة ، من الفشل والإخفاق في تحقيق أهدافهم .

[٣] النظر في سير وأخبار ذوي الأناة : وذلك للإقتداء بهم ، وكيف كانت أناتهم سبباً في هيبتهم وعونهم على تحقيق أهدافهم الدعوية .

[٤] التطبيق الجيد الواعي الجاد للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر من العجلة وتحث على الأناة والتحلي بها .

[٥] ضبط الحماس أو العاطفة الدينية بقاعدة المصالح والمفاسد ، والترجيح بينهما بحكمة حسب الوقائع والظروف ، وتعلم فقه الأولويات .

[٦] الحذر من مصاحبة المتعجلين : فإن الطبع يُعدى، والمرء على دين خليله ، فمن صاحب عجولاً زاده عجلة ، ومن صاحب متأنياً متريثاً ساعده على ضبط زمام نفسه كلما همّ واندفع .

[٧] العمل من خلال منهج محبوك ، قائم على التخطيط الجيد ، معلوم الحدود والأبعاد ، لأن العشوائية وعدم التخطيط تدعو إلى التعجل للقيام

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٠ .

بأعمال غير مضبوطة .

[٨] الحذر من خبث خصوم الدعوة ، فكثيراً ما يحاولون تهييج مشاعر أبناء الصحوة الإسلامية . والزج بهم في أعمال حمقاء تُستغل ضدهم ، فلا بد من الحذر من هذه الإثارات ، وهذا يتطلب فهمًا واعياً دقيقاً لرؤية خصوم الدعوة وكيف يفكرون (١) .

[٩] النظر في سُنن الله في الكون وخصوصاً : سُنَّة التدرج ، وسُنَّة التدافع ، وسُنَّة الأخذ بالأسباب ، وسُنَّة التغيير ، فهي سُنن ثابتةٌ قال تعالى : ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** (٢٣) ﴾ [الفتح : ٢٣] . فإذا تعجل الإنسان وتجاهل هذه السُنن أخطأ ، فإذا تمادى فشل ، فلابد من اعتبارها وتذكير النفس بها (٢) .

[١٠] الأخذ علي أيدي المتعجلين : فإن كان أهل العجلة لا يبحثون عن علاج أنفسهم وتصويب أخطاءهم فإن واجب الجماعة أن تأخذ على أيديهم .

قال الشيخ / محمد أحمد الراشد ـ حفظه الله ـ :

فمن الدعاة أناس يريدون الخير للدعوة ، لكنهم ورثوا سذاجة وعجلة أصحاب السفينة الذين قص النبي ﷺ خبرهم علينا ، وأرادوا أن يخرقوا خرقاً في نصيبهم من السفينة ، فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ، وإن تركوهم هلكوا وهلكوا جميعاً) (٣) .

■ وورد عن ابن المبارك أن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ كان إذا سرد هذا

---

(١) يمكن أن ترجع هذا الأمر مفصلاً في كتاب (واقعنا المعاصر للشيخ محمد قطب) .

(٢) راجع تلك السنن مفصلة في (التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم للدكتور محمد السيد يوسف ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ط دار السلام ـ القاهرة ١٩٩٧ م) .

(٣) انظر العوائق : للأستاذ د/ محمد أحمد الراشد ص ٢١٠ مؤسسة الرسالة ١٩٨٩ الحديث الذي أشار إليه في البخاري برقم (٢٤٩٣ الشهادات ، باب القرعة في المشكلات .

الحديث يقول قبله : (**يا أيها الناس خذوا علي أيدي سفهائكم**) . فإذا سرده عاد فقال : (**خذوا على أيدي سفهائكم قبل أن تهلكوا**) [(١)] .

■ فلا يترك أهل العجلة حتى يهلكوا ويُهلكوا معهم كل من في السفينة، وإن قصر أصحاب الأناة والتريث في الأخذ على أيدي المتعجلين أثموا على تقصيرهم .

---

(١) انظر كتاب الزهد : لابن المبارك ص ٤٧٥ .

المبحث السابع

مواقف لرجال اشتهروا بالأناة والحلم

إن الأناة خير عظيم ، من يرزقه فقد رزق خيراً كثيراً ، ومن يحرمه فقد حرم خيراً كثيراً ، ويمكن للإنسان إن لم يكن في جبلته شيء من أناة أن يحاول اكتساب هذا الخلق العظيم ، ويعينه على ذلك الاستفادة من تجارب الحياة ، والنظر في عواقب الأمور ، وكذلك التأسي بأهل الأناة واقتفاء أثرهم في الحياة ، ومن العجز التام ألا يحاول الإنسان اكتساب الأخلاق الحسنة ، ويأبى بغير طبعه معتذراً متذرعاً بأنه (هو كده) لا يستطيع أن يتغير .

ولقد وردت عن النبي ﷺ عدة أحاديث يمدح فيها خلق الأناة ، وما يشتق عنه من معانٍ كالرفق والحلم والتؤدة والحكمة ونحوها ، لو قرأها إنسان صاحب يقين لتركت فيه أثراً طيباً ، وحاول ترويض نفسه على ذلك الخلق الذي يكسو صاحبه مهابة وجلالة ، ويعلي قدره عند الله وعند الناس ، ونذكر طرفاً من هذه الأقوال الصادقة عمن جاء ليتمم مكارم الأخلاق ثم نتبعها ببعض مواقف لرجال وعوها فرزقوا هذا الخلق العظيم .

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة :

[١] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف)** [١] .

[٢] وعن خالد معدان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **(إن الله رفيق يحب الرفق ،**

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (١٢٦٣٩لاب ٨ / ٤٢٠) وقال : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وأبو خليفة لم يضعفه أحد . وأورد بعد ذلك له عده شواهد , وله شاهد في مسلم (٢٥٩٣) .

ويرضاه ، ويعين عليه مالا يعين على العنف) (١) .

[٣] عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **(إذا أراد الله بقوم خيراً أدخل عليهم الرفق)** (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال **(التأني من الله والعجلة من الشيطان ، وما أحد أكثر معاذير من الله ، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد)**(٣) .

[٤] وروى أيضاً : **(من تأني أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد)** (٤) .

[٥] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : **(إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله ، الحلم والأناة)** (٥) .

[٦] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **(التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة)** (٦) .

[٧] وعن عبد الله بن سرجس المزني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **(السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة)** (٧) .

وهذا غيض من فيض ، وهذه الأقوال الصادقة وأمثالها أثرت في رجال فبدوا

---

(١) انظر مجمع الزوائد برقم (١٢٦٤٥) ك الأدب ٨ / ٤٢ (وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح) ، وهو معجم الطبراني الكبير برقم (٧٤٧٧) .

(٢) انظر مجمع الزوائد برقم (١٢٦٥) ك الأدب ، وقال : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) ٨ / ٤٣ وهو في البزار برقم ١٩٦٥ (وهو في مسلم برقم (٢٥٩٣) بلفظ (بأهل بيت) .

(٣) انظر مجمع الزوائد برقم (١٢٦٥٢) ك الأدب ، وقال : (رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٥) .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٧/٣١٠ ، (من حديث شيخه بكر بن سهل , وضعفه النسائي) انظر مجمع الزوائد ٤٤٨ .

(٥) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سُنَن الترمذي برقم ٢٠١١ .

(٦) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سُنَن أبي داود برقم ٤٨١٠ ك الأدب ، وصححه الألباني في صحيح سُنَن الترمذي برقم (٢٠١٠) ك البر .

(٧) رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٠١٠ ، ك البر .

غاية في الحكمة وصدرت عنهم مأثورات يمدحون فيها الأناة ويذمون العجلة .

ومن تلك الأقوال :

[١] **قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما :** (اعلموا أن الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، ومجالسة أهل الدناءة شين ، ومخالطة أهل الفسق ريبه) (١) .

[٢] **وقال ابن حبان - رحمه الله - :** (لا يستحق أحد اسم الرئاسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء : العقل والعلم والمنطق ، ثم يتعرى عن ستة أشياء : عن الحدّة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ، وترك المشورة .

[٣] **وقال - أيضاً - :** (العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ، لأن الزلل مع العجل) .

[٤] **وقال ابن الأعرابي - رحمه الله - :** (كان يقال : لا يوجد العجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الملول ذا إخوان ، ولا الحر حريصاً ، ولا الشره غنياً) .

[٥] **وقال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - :** (العجلة طلب الشيء قبل أوانه ، وهو من مقتضى الشهوة ، ولذلك كان مذموماً على العموم في القرآن الكريم ، وقد قيل : العجلة من الشيطان) .

[٦] **وقال خالد بن برمك - رحمه الله - :** (من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق ألا ينزل به كيد مكروه، العجلة واللجاجة والعجب، والتواني ، فثمرة العجلة الندامة ، وثمرة اللجاجة الحيرة ، وثمرة العجب البغضة ، وثمرة التواني الذل ..) (٢) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٤٥٧

(٢) انظر الأقوال في : الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ٣ / ١٢٣٣ - ١٢٣٤ .

[٧] **وقيل :** (في العجلة الندامة، وفي التأني السلامة) .

وهذه الأقوال لم تصدر عن قائليها اعتباطا . وإنما من خلال تجارب الحياة ، وإليك طرفاً من مواقف بعض الرجال ، الذين اشتهروا بالحلم والأناة .

مواقف لرجال اشتهروا بالحلم والأناة :

موقف أشج [١] **عبد القيس** ،وكان يسمى المنذر بن الحارث بن زياد بن عصر من عبد القيس[٢] . وقيل المنذر بن عائذ لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قام في استقبالهم ـ قبل أن يصلوا إليه ـ عمر بن الخطاب فقال ممن القوم ؟ .

قالوا : من عبد القيس ، قال : فما أقدمكم لهذه البلاد ؟ التجارة ؟ .

قالوا : لا . . قال : فلعلكم قدمتم في طلب هذا الرجل ؟ .

قالوا : أجل ، فمشى معهم يحدثهم حتى نظر إلى النبي ﷺ فقال : هذا صاحبكم الذي تطلبون .

فرمى القوم بأنفسهم عن رواحلهم ، فمنهم من سعى سعياً ، ومنهم من هرول هرولة ، ومنهم من مشى مشياً ، حتى أتوا رسول الله ﷺ فأخذوا بيده يقبلونها وقعدوا إليه .

و بقي رجل منهم يقال له الأشج ـ وهو أصغر القوم ـ فعقل راحلته ، وعمد إلى رواحل إخوانه فعقلها وأناخها راحلة وجمع متاع القوم . ثم عمد إلى عيبته فأخذ منها ثوباً لبسه ونزع ثياب السفر ومسح لحيته بدهن ووضع سلاحه ، ثم أقبل يمشي على تؤدة ، حتى أتي رسول الله ﷺ فأخذ يده فقبّلها ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله** » .

قال الأشج : ما هما يا رسول الله ؟ .

---

(١) الأشج : الشج هو الجرح في الرأس أو الوجه ، انظر لسان العرب ٧ / ٣٢ .

(٢) انظر ترجمته في : أسد الغابة في معرفة الصحابة لان الأثير ١ / ١١٤ ترجمة برقم (١٨٠) ط دار المعرفة ــ بيروت ٢٠٠١ .

قال : **الأناة والحلم** ، (وفي رواية : **الأناة والتؤدة**) .

قال : الأشج : فأنا تخلقت بهما أم الله جبلني عليهما ؟ .

قال : **بل الله جبلك عليهما** .

قال الأشج : الحمد لله الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله ورسوله .

فدعا لهم النبي ﷺ قائلاً : **(أسلمت عبد القيس طوعاً وأسلم الناس كرهاً ، فبارك الله في عبد القيس)** .

فكانت ضيافة رسول الله ﷺ تجرى على وفد عبد القيس عشرة أيام ، وكان الأشج يُسائل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن فكان رسول الله ﷺ يدنيه منه إذا جلس .. وأمر رسول الله ﷺ للوفد بجائزة ، وفضّل عليهم الأشج فأعطاه اثنتى عشرة أوقية .. وكان ذلك أكثر ما كان رسول الله ﷺ يجيز به الوفد [١] .

فانظر في هذا الموقف الرائع بتدبر وعمق :

الأشج في أناته وتؤدته : عندما وصلوا تعجل القوم ملاقاة النبي ﷺ شوقاً إليه . فألقوا بأنفسهم عن رواحلهم وسعى الساعي ومشى الماشي وهرول المهرول ، وتناثرت أمتعتهم ،وأقبلوا عليه بشعثهم وسلاحهم .

ولم يكن الأشج أقل منهم شوقاً لملاقاة النبي ﷺ ولكنه بأناته وحلمه وعقله نظر بعمق فرأى :

﴿ أ ﴾ أن القوم قد تركوا رواحلهم على تلك الحالة دون أن يعقلوها ، فلربما شردت عليهم ، فعمد إليها فعقلها ، ليس راحلته فقط ، وإنما رواحل كل الجماعة التي كانت معه راحلةً راحلة ـ كما في الرواية السابقة ـ .

﴿ ب ﴾ أن المتاع قد تناثر هنا وهناك ، فرأى أنه إن ترك هكذا فلا يؤمن عليه من أن يضيع .

---

(١) انظر هذا الموقف ملخصاً من : الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ / ٢٨٥ – ٢٨٦ ترجمة برقم (١٩٧٠عجم الكبر للطبراني ٥٢٠٨ ومسند أبي يعلى (٦٨٥٠) .

﴿ جـ ﴾ ثم نظر الأشج ــ وهذا هو الأهم ــ على من يقدم ، إنه يقدم على النبي ﷺ صاحب المقام المحمود ، والشأن الرفيع ، الذي أمر الله المؤمنين بالتأدب معه ، وبتقديم صدقة عند ملاقاته ومناجاته تأدباً معه وتعظيما له ـ ﷺ ـ حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)** ﴾ [المجادلة : ١٢] .

فرأى الأشج أنه ينبغي أن يتهيأ لملاقاته، فنزع عنه ثياب السفر،وأزال شعثه ، وأخذ ثياباً حساناً نظيفة كانت معه فلبسها ، ونزع سلاحه ثم دخل على النَّبيَّ ﷺ في تلك الهيئة .

■ إن الذي جعل الأشج يتوصل إلى كل هذا التفكير العميق والمرامي البعيدة في شأن نفسه وفي شأن جماعته وفي تعظيم رسول الله ﷺوالتأدب معه والتهيؤ للقائه هو الأناة والحلم،ولو تعجل كما تعجلت رفقته لما ظفر بشيء من هذا كله .

■ ولذلك أُعجب به النبي ﷺ فميزه على القوم في العطية ، وقرَّب مجلسه منه وأدناه عندما كانوا يجلسون إليه ، وأخبره بأنه قد توفر فيه خصلتان يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة .

وكيف لا يُعجب النبي ﷺ بأصحاب الأناة والحلم ، وهو الذي مدحهما كخُلقين فاضلين كما رأينا في الأحاديث السابقة .

وكان موقف الأشج هذا موقفاً تعليمياً ودرساً بليغاً قد يتعلمه منه إخوانه ، وهذا هو أحد الوفد الذي كان معه ، يقال له الزراع : قال :

(يا نبي الله بأبي وأمي جئت بابن أخ لي مصاب لتدعو الله له وهو في الركاب، قال : فأت به : فأتيته ، وقد رأيت الذي صنع الأشج ، فأخذت عيبتي [١] ، فأخرجت منها ثوبين حسنين وألقيت عنه ثياب السفر ، وألبستهما إياه ، ثم

---

(١) عيبتي : العيبة ما يعجل فيها الثياب ، لسان العرب ٩ / ٤٩٠ .

أخذت بيده فجئت به النبي ﷺ ...) [١] .

ولاشك أن الجميع رمقوا صنيع الأشج ورأوا إعجاب النبي ﷺ به ومدحه على أناته وحلمه فوعوا الدرس جيداً

مواقف لعمر بن عبد العزيز بن مروان :

اشتهر عمر بن عبد العزيز بالأناة والحلم والورع والتقوى وبصدق المشورة وسداد الرأي ، وكثيراً ما كان يستشيره الوليد بن عبد الملك وسليمان في خلافتيهما .

(حتى آلت إليه الخلافة .، وأراد أن يعود بالحياة إلى هدى الخلفاء الأربعة ، وذلك بعد أن يتمكن ويمسك بجميع الخيوط في يديه ، ولكن كان ابنه الشاب الغيور المتحمس (عبد الملك) من الأتقياء المتحمسين ينكر على أبيه عدم إسراعه في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم والتعفية على آثارها .

قال له يوماً : مالك يا أبت لا تنفذ الأمور ؟، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ، فكان جواب الأب الفقيه المؤمن قال : لا تعجل يا بني ، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن الكريم مرتين ، وحرمهما في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق فيدعوه جملة ، فيكون من ذا فتنة) [٢] .

فانظر في هذا الموقف الرائع إلى أناة أمير المؤمنين عمر بن العزيز ـ رحمه الله ـ وكيف وضح أن الأناة والتؤدة التي أصبحت من سماته تكونت لديه من فهمه لسُنن الله في كونه ،ومنها سُنَّة التدرج .

والتدرج بالناس في أي أمر يحتاج إلى أناة و صبر ، لذلك رد على ابنه

---

(١) انظر مجمع الزوائد برقم (١٦٠٦١) ك المناقب ٩ / ٦٤٩ .

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف : للشيخ القرضاوي ص ٤ أما بعدها , وانظر أيضاً عمر بن عبد العزيز: للدكتور/ محمد على طنطاوي ص ١٨ ، ١٩ ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٩٨٣ .

المتحمس إلى محو أثار العوج والانحراف وإصلاح ما فسد : (لا تعجل فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ثم حرمها في الثالثة) .

ثم بيّن لولده خطورة التعجل في الرجوع بالناس إلى الحق مرة واحدة ، وذلك لأنه بمضي السنين ربما ألف بعض الناس هذا الانحراف فلا بد من التدرج معهم في ردهم إلى الصواب ، لأنهم إن حملوا على الحق مرة واحدة ربما تركوه جملة فيكون من هذا فتنة عظيمة .

موقف آخر لعمر بن عبد العزيز بن مروان :

يحكيه رجاء بن حيوة أحد المقربين منه يقول : (سمرت عند عمر ليلة ، فانطفأ السراج وإلى جانبه غلام قد نام ، قلت : أفلا أنبهه ليصلح السراج ؟) .

قال : لا دعه ، قلت : أنا أقوم يا أمير المؤمنين لأصلحه .

قال : ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه، فقام إلى السراج فزوده بالزيت وأصلحه ثم رجع وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن العزيز) [١] .

فلم يتعجل إيقاظ الخادم ولا معاقبته ، وإنما قام فأصلح السراج بنفسه .

مواقف للأحنف بن قيس :

اشتهر الأحنف بالحكمة والأناة ، والتعقل وله مواقف كثيرة منها :

[١] مارواه الشعبي قال : أوفد أبو موسى الأشعري وفداً من البصرة إلى عمر ابن الخطاب منهم الأحنف بن قيس ، فتكلم كل رجل في خاصة نفسه ، وتأخر الأحنف حتى تكلم آخر القوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا أمير المؤمنين : فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه ، وإن أهل الشام نزلوا منازل

---

(١) سير أعلام النبلاء : لشمس الدين الذهبي ٤ / ٤١٢ ، ٤١٣ ترجمة برقم (٨٠٠) ط مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣ .

قيصر وأصحابه وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار والجنان ، وفي مثل عين البعير وكالحوار في السلى ، تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلغ ، وإن أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة .. لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها ، طرفها في بحر أجاج وطرف في فلاة ، لايأتينا شيء إلا في مثل حلقوم النعامة ، فأرفع خسيستنا ، وانعش وكيستنا ، وزد في عيالنا عيالاً ، وفي رجالنا رجالاً ، وصغّر درهمنا وكبر قفيزنا ، ومر لنا بنهر نستعذب منه ، فقال عمر : عجزتم أن تكونوا مثل هذا ، هذا والله السيد [(١)] .

فانظر : المتعجل في وقت الشدائد إذا ظفر بالسلطان لم يذكر إلا حاجة نفسه ، لأن هواجسه تحدثه أنها الفرصة ، وقد لا تأتي مرة أخرى ، أما أهل الأناة والعقل فإن الحكمة منطقهم ، إذا تحدث ذكر حاجة الناس وهو من الناس وهذا ما فعله الأحنف بن قيس رضي الله عنه لما تمهل وتأنى فتحدث آخر القوم ، جاء ببليغ الكلام الذي أدى الغرض أبلغ ما يكون ووقع في نفس أمير المؤمنين موقعاً حسناً أعجبه حتى أقسم أنه (السيد) أي سيد قومه . ويتعلم الداعية المتأني من هذا الموقف أنه إذا خاطب السلطان فلا تشغله حاجة نفسه عن حاجات الناس يرفعها إلى السلطان ، وأن الكلام المحكم المتقن له أثره في النفس إذا صاحبه إخلاص .

[٢] حدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر بني تميم فذمهم ، فقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي قال : تكلم ، قال : إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذّم ، وإنهم من الناس ، فيهم الصالح والطالح فقام رجل يقال له الحتات ، وكان يناوئه ـ فقال : يا أمير المؤمنين ائذن لي فلا أتكلم ، فقال عمر : اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف) [(٢)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ٤ / ٤٨ ط مكتبة الصفاء ـ القاهرة ٢٠٠٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٩ بتصرف .

[٣] وقال الأحنف : (ثلاث فيّ ما أذكرهن إلا لمعتبر : ما أتيت باب سلطان إلا أن أدعى، ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ، وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندي إلا بخير) (١) .

[٤] وقال : (من أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه مالا يعلمون) (٢) .

[٥] وقيل : (إن رجلاً خاصم الأحنف ، وقال : لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً ، فقال له الأحنف : لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة) (٣) .

[٦] وروى الأصمعي : (أن الأحنف بن قيس ذهب إلى قوم في دم. فتكلم فيه . وقال :احتكموا ، قالوا : نحتكم ديتين ، قال الأحنف : ذاك لكم . فلما سكتوا قال : أنا أعطيكم ما سألتم ، فاسمعوا : إن الله قضى بدية واحدة وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة ، وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة ، وأنتم اليوم تطالبون ، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين ، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم ، فقالوا : قبلنا دية واحدة) (٤) .

وله مواقف كثيرة في الأناة و الحلم حتى قال الحافظ ابن حجر : (كان يضرب بحلمه المثل . . قال له رجل يوماً : بم سدت قومك وأنت أحنف أعور ؟ .

فقال له :بتركي مالا يعنيني من أمرك كما عناك من أمري مالا يعنيك) (٥) .

موقف لحاتم الأصم :

وكان حاتم الأصم قليل الكلام ذو أناة ، فقيل له في ذلك فقال : إني لا أحب أن أتكلم كلمة قبل أن أعدّ جوابها لله ، فإذا قال الله تعالى لي يوم القيامة

---

(١) المرجع السابق ٤ / ٤٩ .
(٢) المرجع السابق ٤ / ٥٠ .
(٣) المرجع السابق ٤ / ٥٠ .
(٤) المرجع السابق ٤ / ٥٠ بتصرف .
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر ١ / ١٥٤ ترجمة برقم ٤٢٦ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠١ .

لم قلت كذا ؟ قلت يا رب : لكذا) [١] .

موقفان للحسن البصري ـ رحمه الله ـ :

وكان الحسن البصري ـ يختار الصمت لنفسه ـ ولزوم الصمت يدل على مدى ما في الإنسان من حلم وأناة ، وكان يقول : (كانوا يقولون إن لسان الحكيم من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يقول ، يرجع إلى قلبه ، فإن كان له قال وإن كان عليه أمسك ، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى القلب فما أتي على لسانه تكلم به) [٢] .

وانظر إلى أناته وحلمه ـ أيضاً ـ قيل له : (إن فلاناً يغتابك ويقع فيك فقال : ائتوني بطبق من رطب فجاءوه، فوضع عليه منديلاً ، وقال :اذهبوا به إلى فلان ـ الذي يغتابه ـ وقال : إنه أهدى إليَّ حسناته) [٣] .

موقف لأبي الهذيل العلاف المعتزلي :

جاء يهودي إلى البصرة وطلب مناظرة علمائها من المسلمين ، فخرج إليه غير واحد من المسلمين فتغلب عليهم ، ثم خرج له أبو الهذيل العلاف ـ من رؤوس المعتزلة ـ فناظره ، قال اليهودي لما رآه تتكلم أم أتكلم ؟ .

■ فقال أبو الهذيل : بل تكلم ، فقال اليهودي : ما تقولون في التوراة ؟ .

■ قال أبو الهذيل : إن كانت هي التي أخبرنا عنها نبينا وورد في القرآن ذكرها فنحن نؤمن بها ونصدقها ، وإن كانت غيرها فلا .

■ قال اليهودي : ما تقولون في موسى ؟ ، قال أبو الهذيل : إن كان هو الذي أخبرنا عنه نبينا وورد في القرآن ذكره فنحن نؤمن به ونصدقه ، وإن كان غيره فلا ، وجعل اليهودي كلما سأله سؤالاً أجابه فأفحمه .

---

(١) تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٨ / ٢٤٥ .
(٢)الزهد لعبد الله بن المبارك ص ١٣١ .
(٣)إحياء علوم الدين : للغزالي .

■ قال أبو الهذيل: فدعاني اليهودي وقال: أريد أن أسرّ إليك شيئاً، فاقترب منه أبو الهذيل، وكان اليهودي خبيثاً لما فشل في مناظرته أراد أن يخرج منها منتصراً، ففكر في أن يثير أعصاب مناظره العلاف فيتعجل فيضربه أو يشتمه ويشاع أنه لما أفحم المسلمين ضربوه، ولكن أبا الهذيل العلاف كان حكيماً متأنياً متعقلاً، وقف في كل هدوء بعد أن أسر إليه اليهودي، وقال: أتدرون ماذا قال لي اليهودي: إنه يسبني بأمي.

موقف للحسن بن علي رضي الله عنه:

لما دُس السم للحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه أخوه الحسين رضي الله عنه فقال له: أي أخي: أنبئني من سقاك؟.

قال الحسن: لم، لتقتله؟، قال الحسين: نعم.

قال الحسن: ما أنا محدثك شيئاً، إن يكن صاحبي الذي أظن فالله أشد انتقاما، وإلا فو الله لا يقتل بي برئ [١].

موقف لأبي القاسم بن مسلمة الوزير العباسي:

جاء اليهود الخيابرة إلى الوزير أبي القاسم بن مسلمة ـ أحد وزراء بني العباس ـ في القرن الخامس الهجري ـ بكتاب زعموا أنه من النبي ﷺ وفيه إسقاط الجزية عنهم، فلم يتعجل بالفصل في المسألة. وإنما تأنى ورد الأمر إلى أهله، ودفع الكتاب إلى الحافظ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) شيخ علماء بغداد ومؤرخها ومحدثها، فنظر فيه ثم قال: هذا كذب، فسأله الوزير: وما الدليل على كذبه؟

قال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر سنة سبع وأسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل يوم خيبر عام الخندق سنة خمس، فأعجب الناس ذلك وتوقف الوزير

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٦٣ .

عن العمل بالكتاب [١] .

أرأيت لو أن هذا الوزير استعجل ، ونفذ ما في الكتاب من غير أن يرد الأمر إلى أهله فما تكون النتيجة ؟ إن النتيجة هي تعطيل نص صريح من كتاب الله عز وجل بغير دليل و لا برهان ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)** ﴾ [التوبة : ٢٩] [٢] .

موقف لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أراد يوماً أن يقوم في موسم الحج خطيباً ليفند لغطاً لغط به بعض الجهال حول بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأحداث السقيفة ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين : لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك ، حين تقوم ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسُّنَّة ، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً ، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها .

فقال عمر : أما والله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة [٣] .

فتأمل موقف عبد الرحمن بن عوف عندما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وما عزم عليه من القيام خطيباً في الناس ليصحح بعض الأخطاء التي أشيعت حول بيعة أبي بكر وما حدث يوم السقيفة، فرأى عبد الرحمن أنه لو تكلم في هذا

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٢ / ١١٠ - ١١١ بتصرف .

(٢) آفات على الطريق : د / السيد محمد نوح ٢ / ١٦١ ، ١٦٢ ط دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٨٨ والآية من سورة التوبة ٢٩ .

(٣) البخاري ٨ / ٢٠٩ .

الجو المفتوح الذي قد يكون فيه المغرضين والسذج والرعاع من العامة قد يحدث مشكلة عظيمة، حيث يتلقف أصحاب شهوة الرياسة نقد الثقات، ويضخمون الأمور ويحملونها مالا تحمل، فنزل عمر على رأي عبد الرحمن بن عوف (١).

موقف لحكيم متأنٍ يخمد فتنة:

شيخ رزقه الله الأناة والحكمة كانت كلماته من أهم أسباب إخماد فتنة القول بخلق القرآن، جئ به إلى الواثق الخليفة العباسي مقيداً في الحديد، فال له ابن أبي دوءاد (رأس هذه الفتنة). يا شيخ: ما تقول في القرآن؟ أمخلوق هو؟، فقال له الشيخ: لم تنصفني المسألة، أنا أسألك قبل الجواب:

هذا الذي تقوله يا ابن أبي دوءاد من خلق القرآن شيء علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعثمان رضي الله عنهما أو جهلوه؟.

فقال: بل علموه.

قال: فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا؟.

قال: بل سكتوا.

قال: فهلا وسعك ما وسعهم من السكوت؟.

فسكت ابن أبي دوءاد، فأعجب الواثق: بكلامه، وأمر بإطلاق سبيله.

وقام الواثق من مجلسه وهو يقول: هلا وسعك ما وسعهم - يكرر هذه الكلمة -.

قال الإمام السبكي معلقاً على الموقف وكان ذلك من الأسباب في خمود الفتنة (٢).

---

(١) انظر العوائق: للأستاذ / محمد أحمد الراشد ص ١٦٣ ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
(٢) طبقات الشافعية: للسبكي ١ / ٢١٥.
وانظر: المصفي من صفات الدعاة: لعبد الحميد البلالي ١ / ١٠٨، ١٠٩ ط دار الدعوة الكويت ١٩٩٨م.

وليست العجلة والخصومة والجدال وعلوّا الصوت فإن هذا لا تزيد الفتنة إلا اشتعالاً .

هذه مجموعة من المواقف قصدت من عرضها أن يقف كل من في نفسه عجلة متفكراً فيها كيف ضبط هؤلاء أنفسهم وملكوا زمامها وقادوها ؟ وكيف قوبل تريثهم وتأنيهم بالتقدير والتبجيل من المجتمع حولهم ، ومن الممكن للإنسان أن يكتسب الأخلاق والخصال لو حاول أن يتخلق على حدّ قول القائل:

تشبهوا بالرجال إن لم تكونوا   مثلهم إن التشبه بالرجال فلاحُ

وفي المبحث التالي ـ بمشيئة الله تعالى ـ نعرض طرفاً من نصائح العلماء المعاصرين وتوجيهاتهم للمتعجلين ، علنا ننتصح ونعيد حساباتنا في أعمالنا ، والله المستعان .

XXXXX

المبحث الثامن
نصائح العلماء للمتعجلين

■ لقد أفزع العلماء تلك النتائج التي أثمرتها العجلة ، من صدامات وعنف ودماء ، وشقاق وخلاف ، وتباعد وتشاحن ، وضياع للجهود التي بذلت للعودة بالمجتمع إلى دين الله تعالى .

■ فوقفوا ينصحون الشباب المتحمس الذي تدفعه العجلة دفعاً ، والعلماء لم يكونوا غائبين عن الأحداث ولم يتخلوا عن النصح والتوجيه والإرشاد ، ولكن أهل العجلة كان يحملهم اندفاعهم إلى تصور هؤلاء العلماء على أنهم متقاعسين أو لا يحملون همّ الدعوة كما يحملونها هم ، أو أنهم خانوا الله ورسوله وتركوا قضية الدعوة أصلاً !! .

■ فكان الشباب المتعجل يُعرض عن نصائحهم ، وليس فقط الإعراض بل كثيراً ما نالوا من العلماء وقدحوا فيهم وخطئوهم وشهّروا بهم لأتفه الزلات ـ إن وجدت ـ (ولم يحسبوا أن الاستهزاء بالعلماء والإعراض عن نصحهم والقدح فيهم خطر على دين المرء ، إذ قد يفضي بصاحبه إلى ما لم يكن بحسابه ، لقد قال رجل من المنافقين : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء ، فصارت هذه الكلمة علامة على كفر أولئك المنافقين ، **فأنزل الله فيهم قرانا يرد اعتذارهم ويدفعهم:** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) ﴾ .

[التوبة : ٦٥ – ٦٦] .

قال الحافظ ابن عساكر الدمشقي ـ رحمه الله ـ :

■ اعلم . . أن لحوم العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم ، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم ، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم) (١) .

■ وربما كان الحق في بعض الأحيان مع الشباب المتحمس ولكن طريقة حديثهم مع العلماء جرّأت العامة والرعاع على الطعن في العلماء ، (فبعض الشباب المتحمس قد يقذف أقوالاً لا يظنها تبلغ ما تبلغ ، فيقول : فلان لا يقبل رأيه ، وفلان لا يعتد بتصحيحه ، وقد يكون قول هذا المعترض حقاً ولكنه يجب ألا يقال بين العامة وصغار طلبة العلم الذين لا يزنون الأقوال ولا يحسبون لها حساباً ، بل يأخذون تلك الكلمة ويجترئون على العلماء في ظل نحن رجال وهم رجال ، وهكذا فالشر مبدأه شرارة) (٢) .

■ **إن بعض الشباب قالوا :** إنهم اشتكوا إلى بعض أهل العلم في بلدهم ما يجدون من انحرافات فنصحهم العالم ودعاهم إلى الصبر ، وقال : إنه ليس زمان إلا والذي بعده شر منه ، وأمرهم بالحرص على الدعوة والإصلاح بالوسائل الشرعية الممكنة ، فغضب هؤلاء وخطئوا العالم إذ أمرهم بالصبر وقال لهم بتتابع الشرور ، وهذا الأمر الذي خطّأ فيه هؤلاء الشباب العالم ليس بخطأ ، إذ وقع مثل ذلك الموقف الذي وقعوا فيه مع العالم لقوم مع عالمٍ من سادات علماء لصحابة ، قال الزبير بن عدي ـ رحمه الله ـ : جئنا إلى أنس بن مالك فشكونا إليه ما نجد من

---

(١) قواعد في التعامل مع العلماء : للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ط دار الورّاق ـ الرياض ١٤١٤ هـ , والآية رقم ٦٥ ، ٦٦ من سورة التوبة ينظر سبب نزولهما في أسباب النزول للواحدي ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٢) قواعد في التعامل مع العلماء ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ بتصرف يسير .

الحجاج فقال : اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ [١] .

■ وعلى كل حال فقد مضى ما كان ، ولنستغفر الله على ماكان فيه من العصيان، ولنحاول أن نضع ثقتنا بالعلماء، وأن نجلَّهم ، ونقبل منهم النُصح ففي ذلك الخير الكثير ، وأن نتخذ من الراسخين منهم مرجعية ، نرجع إليها نستوضح عما أشكل علينا فهمه ، ونأخذ من تجاربهم في الدعوة إلى الله تعالى ، ويوم نفعل هكذا مع العلماء سيتكون جيل مسلم له من الوعي ورسوخ القدم وعمق التجربة وصدق الرأي والمشورة والنصيحة ما يمكّنه من السير بالدعوة إلى الله كما أراد الله ورسوله ﷺ وإنهم والله ـ برغم ما نال منهم النائل، وتطاول عليهم المتطاول ـ لم ولن يكفوا عن النصح والتوجيه لأنهم يعلمون أن النصيحة واجبة ، وليست هدية تُهدى لمن اهتدى ، بل هي حجة تقام على العباد بين يدي ربهم سبحانه ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ** ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

■ وسأسوق هنا طرفاً من نصائح وتوجيهات بعض العلماء للمتعجلين أمثالنا فنسأله تعالى أن يفتح للنصيحة قلوبنا وآذاننا،وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

نصيحة الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق [٢] ـ رحمه الله ـ :

لقد وجه شيخ الأزهر الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق ـ رحمه الله ـ العديد من النصائح لشباب الصحوة الإسلامية بعدم الاختلاف والتنازع ، ونبذ كل دواعي الفرقة وأخذ العلم عن أهله ، وعدم الإنكار في مسائل الخلاف ، والرفق في الدعوة وعدم العنف والمصادمة ،والصبر وعدم استعجال النتائج . .وغير ذلك .

---

(١) المرجع السابق ص ١١١ والحديث في البخاري : ك الفتن ، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه .

(٢) هو شيخ الأزهر السابق ـ توفى رحمة الله عليه ـ سنة ١٩٩٦م .

وللأسف فإن أكثر شباب الصحوة كان يصم أذنيه تجاه كل ما يأتيهم من علماء الأزهر ، لأنهم جميعاً عنده علماء سلطة وفاسدي العقيدة .. وبرغم هذا لم يكف أهل العلم العاملين عن النصح والتوجيه ، وهنا نقتطف من نصيحة لشيخ الأزهر وجهها للشباب في كتاب سماه (بيان للناس) ما يتعلق بجانب العجلة والتعجل في العمل الدعوى .

جعل الشيخ رحمه الله يتتبع تاريخ الانحراف والتطرف بدءاً من الخوارج والشيعة وحتى عصرنا .. وذكر أهمية التدين في إصلاح المجتمع .. وتحدث عند بداية ظهور حركة الإصلاح والتي تمثلت بظهور دعوة الإخوان المسلمين ثم قال : (وحين اهتمت هذه الجماعة بإصلاح القاعدة ولم تتعجل الحكم ، اهتم بعض أفرادها أو جماعة أخرى تستهدف هذه الغاية بالقمة . معتقدة أن الحكم الإسلامي قانوناً وتطبيقاً لا يعود إلا بالاستيلاء بسرعة على السلطة الحاكمة ، وقتل الحكام الذين تربوا في أحضان الاستعمار لأنهم في نظرها كفار بطرق مباشرة أو غير مباشرة .. وكان من أثر هذا الاعتقاد انحراف في السلوك أدى إلى قتل واغتيال وتخريب وفتنه راح ضحيتها أبرياء) [١] .

ولعل الذين ينادون بالجهاد عن طريق حمل السلاح يقصدون الجهاد لتغيير الوضع الحالي للمجتمعات الإسلامية ، وقد قلنا : إن وسيلة الإصلاح لن تؤمن عاقبتها ، إذا كانت قائمة على العنف ، فإن للقوة إعدادها وتخطيطها الكبير الجبار ، وكذلك لدراسة كل الظروف القائمة أهميتها في القيام بمثل هذه الحركة [٢] ... كما لا يجوز مطلقاً التعجل في الربط بين الحكم على سلوك فرد والحكم على المجتمع كله ، فأول قاعدة من قواعد المجتمع الإسلامي قبوله الإسلام ديناً بالنص الرسمي أو بالقول اللساني ، وأبرز ظاهرة تدل عليه وتمنع قتاله هي إعلان الشهادة

---

(١) بيان للناس : للشيخ جاد الحق على جاد الحق ١ / ٣٠ ط مطابع وزارة الأوقاف - القاهرة ١٩٩٤ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٢٨٤ .

بالأذان الذي يدل على الصلاة ، ومن كان عنده هذان الأمران لا يجوز الحكم عليه (ككل) بأنه مجتمع كافر أو مجتمع جاهلي ويستباح قتاله .. وإصلاح المجتمع لن تكون وسيلته الوحيدة قتل العاصيين ، فذلك يؤدي إلى فتنة أكبر ، ولن يكون من ورائه الخير الذي ننشده ..ثم لماذا ننظر إلى السلبيات وحدها في المجتمع و لا ننظر إلى الإيجابيات وما أكثرها ؟ أليست العُمُد الأساسية للدين قائمة .. أليس الممتنعون عن شرب الخمر أكثر من شاربيها ؟ وقل مثل ذلك عن الزنى والسرقة والقتل والربا وسب الدين والتبرج ، إن الإنصاف ألا نجرد المجتمع من محاسنه كلها ثم نبرز القلة من المساوئ إبرازاً يُوهم بأن المجتمع فاسد لا مكان فيه للصلاح .... .

إن سُنن الله في الكون ، وقانون الأسباب والمسببات لابد من مراعاتها في كل التصرفات ، والله سبحانه هو القادر على أن ينصر الإسلام وأهله على الكفر بدون جهاد يستشهد فيه كثير من خيرة المسلمين ولكنها سُنَّة الله في خلقه ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ** ﴾ [محمد : ٤]، وعندما ما تعجل خباب رسول الله بالدعاء أن يخلصهم الله من عذاب المشركين وينصرهم عليهم، بين له أن النصر لا بد له من تضحيات كما ضحى السابقون وأقسم بالله أن الله سيتم أمر الدين ثم قال: (ولكنكم تستعجلون)ولا نقول ذلك رضاً بواقع المجتمعات الإسلامية،فكلنا غيورون على إصلاحها ،ولكن نقوله تحذيراً من التورط فيما لا تُحمد عقباه ،وليس الإصلاح عسيراً أبداً فهو ميسور، ولكن يحتاج إلى تخطيط دقيق ،وهو معنى الحكمة في الدعوة ، يقول الشاعر الحكيم.

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقاً عن غرة زلجا

وكم خسرت جيوش جرارة معارك هامة بسبب سوء التخطيط وأمثلة التاريخ على ذلك كثيرة (١) .

---

(١)بيان للناس ١ / ٢٥٠ – ٢٥٢ بتصرف .

كذلك وجّه - رحمه الله - نصيحة إلى الذين لا يُقدرون حماس هذا الشباب المتعجل ويبالغون في تشويه صورته قال : (ومن الحق أن مسئولية الانحراف الفكري الذي قد يُصبغ بصبغة دينية موزعة على المجتمع كله ، حكومة وشعباً .. وكان من الخطأ تشخيصاً وعلاجاً المبالغة في تشويه هذه الظاهرة لتبرير ما يُتخذُ حيالها من إجراءات) (١) .

نصيحة الشيخ / محمد قطب - حفظه الله - :

لقد كان الشيخ محمد قطب من أكثر العلماء اهتماماً بظاهرة الصحوة الإسلامية كيف لا وهو واحد من أبرز عناصرها ،وله توجيهات كثيرة في كتبه نقتطف منها - من كتاب واقعنا المعاصر - ما يتعلق بالعجلة والمتعجلين

(تعددت الجماعات ، وتعددت وجهات النظر ، وتعددت المواقف بتعدد وجهات النظر .. ولكن هناك أمراً مشتركاً يجمع بين معظم هذه الجماعات وإن اختلفت مواقفها ومناهجها : هو التعجل ! .

يقولون : مضى على الدعوة أكثر من نصف قرن ولم تنجح بعد ، أي لم تصل إلى الحكم لتحقيق ما تدعوا إليه من تحكيم شرع الله عز وجل وحل مشاكل المجتمع .. وفي ذات الوقت يقولون : إن الشيوعيين ينجحون ، وغيرهم من الأقليات التي ليس لها سند شعبي ولا حجم يذكر تصل إلى الحكم ، والمسلمون لايصلون !!) .

■ ونقول للمتعجلين : هل يصح قياس الحركة الإسلامية بتلك الحركات التي تصل إلى الحكم وتقهر الشعوب ؟ ومعلوم أنها لا تنجح بذاتها ، وإنما بتحريك أعداء الإسلام لها من الخارج .. (٢) .

---

(١) المرجع السابق ١ / ٣٤ بتصرف .

(٢) واقعنا المعاصر : للشيخ محمد قطب ص ٤٥٥ ط مؤسسة المدينة للصحافة والنشر ١٩٨٦م.

■ إن حجم الانحراف الذي وقعت فيه الأمة خلال القرون ـ وفي القرن الأخير خاصة ـ أضخم بكثير مما يتصوره الكثيرون، إنه ليس فساد في السلوك فحسب ولكنه فساد في التصور وفساد في السلوك ،وفساد في تصور كل المفاهيم الرئيسية للإسلام بدءً بمفهوم لا إله إلا الله الركن الأول والأعظم من هذا الدين ، وتغيير حال هذه الأمة وإرجاعها إلى حقيقة الإسلام أمر لايتم بالسهولة التي يتصورها كثير من الناس إنما يحتاج ـ بحسب السُّنَّة الجارية إلى وقت أطول وجدٌ أكبر بكثير مما تم في جميع الميادين .

■ يحتاج أولاً : إلى تبيين الحقائق المجهولة من هذا الدين ، ويحتاج ثانياً إلى تربية الناس على ماتقتضيه هذه الحقائق من سلوك واقعي في واقع الحياة .

■ وهو جهد لا يمكن أن يتم في سنوات قصار ، والسنوات التي مضت في الدعوة ــ بالقياس إلى عمر الأمم ـ قصار جداً .

■ وهنا وبصبر نافد يخرج المتعجلون ومعظمهم من الشباب المتحمس بسؤالين يصبان في النهاية في ملتقى واحد : وهل من المعقول أن ننتظر حتى تتربى الأمة كلها على الإسلام ، وهو أمر لا يتحقق بالفعل ؟، وكيف تربى والحكومات المعادية للإسلام تنقض علينا كل فترة من الزمن ، كلما ربينا جيلاً من الشباب أخذوه فعذبوه وقتلوه وقضوا عليه ؟ .

■ فأما بالنسبة للسؤال الأول : فلم يقل أحد قط إنه ينبغي الانتظار حتى تتربى الأمة كلها : فهذا أمر بالفعل لا يتحقق في واقع الأرض .. وإنما المقصود أن تتربى القاعدة التي تحمل البناء بالحجم المعقول ..

وأما بالنسبة للسؤال الثاني : فليس صحيحاً ما يتصوره بعض الناس في نظرتهم المتعجلة أن أعداءنا يقضون على جهدنا كله ، إنما بالفعل يعوقون الحركة .. أما القضاء عليها فهم أنفسهم لا يزعمونه وإن تمنوه ..

■ ويقول المتعجلون : لقد ربينا بما فيه الكفاية .. وآن الأوان أن نعمل ، وهذه القولة ـ على قصرها ـ تشتمل على قضيتين خطيرتين من قضايا العمل الإسلامي تحتاج كل منهما إلى بيان :

الأولى : هل ربينا حقاً بما فيه الكفاية ؟ وما المعيار الذي نقيس به ما تم من التربية حتى اليوم لنعرف إن كان كافياً أم إنه يحتاج إلى مزيد .

والثانية : ما نوع العمل المقصود الذي يفكر فيه المتعجلون ؟ (١) .

■ **وأبدأ بالقضية الثانية فأقول :** هناك نوعان من التفكير ونوعان من العمل يفكر فيهما المتعجلون ،بحسب كونهم من الشباب أو من الشيوخ، فأما الشباب الذين تملؤهم الحماسة وتدفعهم إلى التعجل: فتفكيرهم هو وجوب الوصول إلى الحكم بالقوة ، وتربية الأمة من موقع السلطة لا من موقع الدعوة لأن التربية من موقع الدعوة أمر يطول به الزمن ، بسبب وقوف الأعداء بالمرصاد ، وتعويقهم المستمر للحركة،وأما الشيوخ الذين أجهدهم المشوار الطويل والضربات المتوالية ، فتفكيرهم هو الدعوة السلمية التي لا تصطدم مع السلطة أبداً ،وتحاول التأثير على مجرى السياسة من خلال المشاركة في الانتخابات والبرلمانات ونحوها ،ونحن نفترض الإخلاص في الجميع ولكن الإخلاص وحده لا يكفي . .وإنما يحتاج الأمر إلى تكوين قاعدة إيمانية تكون بحجم العمل المطلوب .

■ **فإن قال المتعجلون من الشباب :** من أين لنا القاعدة . وكيف نقعد بلا عمل حتى تتكون القاعدة ؟ فتقول إن القاعدة تتكون ببطء ولكنها تتسع على الدوام ولا تتوقف عن النمو ، وينضم لها على الدوام شباب جديد يعلم سلفاً عقبات الطريق ، فيوطن نفسه على المشوار الطويل . . أما القول بأن الشباب سيقعد بلا عمل حتى تتكون القاعدة فهو صادر عن تصور معين للعمل يملأ

---

(١) واقعنا المعاصر ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ بتصرف يسير .

قلوب هؤلاء الشباب وأفكارهم ، فلا يتصورون العمل إلا حمل السلاح وملاقاة الأعداء ، ويتصورن أي شيء غير ذلك قعودٌ بلا عمل !! .

■ **ونقول لهم :** من سيبني القاعدة إن لم يكن الشباب أنفسهم ، وكيف يكونون بلا عمل إذا كانوا منهمكين في البناء ؟ .

■ إنما تصدر هذه القولة من ا لشباب المتعجل نتيجة أمرين معاً : عدم إدراك الأبعاد الحقيقة المطلوبة لعملية التربية،والاعتقاد ـ من ثم ـ بأن التربية قد تمت وأننا ينبغي أن ننتقل إلى الخطوة التالية وهي حمل السلاح وملاقاة الأعداء !! (١) .

■ وكلما ناقشنا الشباب المتعجل الذي يدعو إلى حمل السلاح وملاقاة العدو و رأينا ضوء الواقع أن الصِّدَام مع السلطة قبل تكون القاعدة المسلمة ذات الحجم المعقول عبث .. كذلك نناقش الشيوخ المتعجلين وهؤلاء الشيوخ هم أنفسهم بقية شباب الجيل الأول المتعجل الذي كان يعتقد أن العمل قد وجب ، وأنها ضربة قوية أو مجموعة ضربات فيخر الطغاة هدًّا ويحكم الإسلام .

■ فنقول لهؤلاء الشيوخ إن استخدام هذا الطريق قبل تكوين القاعدة المسلمة عبث .. ولنفرض جدلاً أننا توصلنا إلى تشكيل برلمان مسلم مائة في المائة .. وكل أعضائه يطالبون بتحكيم شرع الله . فما يستطيع البرلمان أن يصنع بدون القاعدة المسلمة التي تسند قيام الحكم الإسلامي ثم تسند استمراره في الوجود بعد قيامه ؟ .

■ انقلاب عسكري يحل البرلمان ، ويقبض على أعضائه فيودعهم السجون والمعتقلات وينتهي كل شيء في لحظات !! إنه تفكير ساذج رغم كل ما يقدم له من المبررات ، وفوق ذلك فهو يحتوي على مزالق خطيرة تصيب الدعوة في الصميم برغم ما يبدو من أنها تمكن لها في التربة وتعجّل لها الخطوات !! (٢) .

---

(١)واقعنا المعاصر ص ٤٥٩ –٤٦١ بإيجاز .

(٢)واقعنا المعاصر ص ٤٦٢– ٤٦٣ بإيجاز .

■ ولا نستطيع أن نعطي موعداً محدداً للذين يقولون إلى متى نظل نربي دون أن نعمل .. لأن هذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح ، ولا يوجد بشر في الأرض يستطيع تحديد هذا الموعد ..) [١] .

■ ثم مضى الشيخ قطب ـ حفظه الله ـ يوضح للمتعجلين برنامج التربية المطلوب وأبعاده المفروضة . ويكشف مزالق طريق العجلة في فصل طويل استغرق نحو ثلاثة وأربعين صفحة من كتابه القيم واقعنا المعاصر ثم أتبعه بفصل مهم عن السمع والطاعة وحدوده وأبعاده وما يترتب على غيابه من التعجل والإندافاع بدون تفكير .

نصيحة الشيخ الدكتور / مانع بن حماد الجهني ـ رحمه الله ـ : [١]

قال : (وإلى شبابنا المسلم أقول بصراحة ووضوح : إن الصحوة الإسلامية المباركة التي يشهدها عصرنا ، والمتمثلة في العودة إلى الإسلام والرغبة في اتباع منهجه القويم ، هي نعمة من الله يجب الحفاظ عليها وتنميتها وتطويرها لتشمل كافة قطاعات المجتمعات المسلمة ، هذه الصحوة المباركة التي تمخضُ عن سلوكيات إيجابية مثل : العودة إلى المساجد ، والإقبال على صلاة الجماعة من قبل الشباب ، والإقبال الشديد على المعارف الإسلامية وازدياد التمسك بمظاهر الإسلام ، والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، والسعي لأسلمة العلوم والمعارف ، وأسلمة المؤسسات القائمة على غير نهج الإسلام ، والتوسع في إنشاء المراكز والمنظمات الإسلامية القائمة على غير نهج الإسلام ، والتوسع في إنشاء المراكز والمنظمات التي تخدم المسلمين في أنحاء العالم ، وإحياء روح الجهاد الإسلامي على الساحة وتجاوب الشعوب المسلمة مع القضايا الإسلامية ..

أقول : هذا الكم الهائل من المقدرات والمكتسبات الذي كان نتيجة حقب

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨٢ .

(٢) كان يرحمه الله يقوم بعمل الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

امتلأت بالجد والفكر و المعاناة والأزمات، يجب علينا أن نحافظ عليها من جهة ، وأن ننمي مكاسبها من جهة أخرى .. علينا أن نجدّ في طلب العلم .. وعلينا أن نتجنب في طلبنا للعلم ـ التعصب للهوى أو المغالاة لفكر أو فرقة أو جماعة ، وليكن مرجعنا دوماً إلى كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله لأن ذلك أدعى للهداية .. وتحقيق وحدة المنهج، وهي وحدة لا تنفصم عراها أبداً بحول الله تعالى .. علينا ألا نتسرع في الفتوى ، وأن نترك الفتوى لأهلها ، قال أحد السلف سمعت مالك يقول : العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق ، وقال آخر : أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً ، يكون عند الرجل الباب الواحد فيظن أن الحق كله فيه ... وروى عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال للناس : ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً ، هل ترون لي أن أفتي ؟ .

فقالوا : نعم ، فسئل : لو أن الناس نهوك ؟، فقال : لو نهوني عن الفتوى لانتهيت .. وأثر عن البراء رضي الله عنه قال : لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدر ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا ...

وأقول لشبابنا المتحمس إذا كان هذا هو شأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وسلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ وهم أبناء القرون الزاهرة ، فالأجدر بنا نحن المتأخرين أن نلتمس خطاهم وأن نلتزم منهجهم وندع الفتيا لأهلها .

وأقول لشبابنا الغيور المتحمس : عليكم بالتأني وعدم الاستعجال ، لا تستبطئوا الخطوات التي تسير بها عجلة التزام المجتمعات المسلمة بالدين القويم ، دعوا أفراد المجتمع يكشفون جمال الإسلام وتعاليمه وأحكامه على مهل وأذكركم ونفسي بقول الله ـ عز وجل ـ ﴿ **كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ [النساء :٩٤] .

وإياكم والغلو والتطرف ! لو كان فيهما خير ما أديا إلى ظهور فكر التكفير

وفقدان الثقة في المجتمعات الإسلامية ، وكلاهما لا ينكر شططهما عاقل أريب يعرف تعاليم دينه الحنيف .

علينا جميعاً أن نعي المخاطر المحدقة بنا والتحديات التي تواجه الإسلام وأن نتعاون جميعاً ولا نختلف ولنحسن التوكل على الله والظن بعلمائنا وإخواننا والالتزام بما علمناه من أحكام الإسلام ، ولنذكر أن كلاً منا على ثغرة من ثغور الإسلام ، فالله الله أن يُؤتى الإسلام من قبلك ، والله تعالى خير حافظاً وهو حسبنا ونعم الوكيل) [١] .

نصيحة الشيخ / سلمان فهد العودة ـ حفظه الله ـ :

قال : الصبر قرين اليقين ، قال تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** (٢٤) ﴾[السجدة : ٢٤] ، ولذلك قال سفيان : بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين .

والذي لا يصبر فإنه من السهل أن ينخلع عن دينه لأي شيء يعترض طريقه، ومن السهل أن يتخلى عن منهجه وحكمته لأي استفزاز ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** (٦٠) ﴾[الروم : ٦٠] .

■ كثيراً ما يقف الضالون في وجه الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ يقولون لهم : إن ماتدعون إليه ضرب من الخيال لا يمكن أن يتحقق في الواقع .

■ أنتم تدعون إلى أمور عفا عليها الزمن ، ونسيها الناس أو كادوا ، فينبغي أن ترضوا بما هو دون ذلك ، وأن تراجعوا آراءكم واجتهاداتكم !! .

■ وأمام ضغوط الواقع القائم ، وأمام العقبات الحقيقية والوهمية في وجه تحقيق الإسلام ،وأمام طول الطريق .. قد يستجيب بعض الدعاة ويتأثر ، ويبدأ

---

(١) نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات والأحزاب الإسلامية : للأستاذ / نظام سلامة سكجها ص ٣٥١–٣٥٥ بإيجاز يسير ، ط المكتبة الإسلامية الأردن ١٤٢٠ هـ.

في إعادة النظر في فهمه للإسلام ، وفيما يقوله الخصوم !!.

■ ويا ليته يفعل ذلك بروح الباحث المتجرد والشجاع المتطلع إلى الحق أين كان ، إذن لهان الخطب ، لكنه يفعله بروح المنهزم الذي يحس بأنه خرج من المعركة أسيراً أوكسيراً . . .

■ إنه فقدان الصبر في نفوس بعض الدعاة ،ومع فقدانه الأمل . . يا ليت الداعية ينصت إلى ذلك الناصح الذي قال للخليل :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

أنت لست مطالباً بتحقيق نصر واقع للإسلام ، فهذا أمره إلى الله متى شاء أن يحدثه حدث ، لكنك مطالب ببذل جهدك في هذا السبيل فحسب ، والرسل والأنبياء كانوا يخاطبون بذلك : ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ** ﴾ [الشورى : ٤٨] . وكانوا يقولون : ﴿ **وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** (١٧) ﴾ [يس : ١٧] .

■ وقد يأتي أحدهم إلى بعض الدعاة ، ويقول له : أنت تعمل أعمالاً جبارة وتواصل كلال الليل بكلال النهار ، لكن النتيجة في النهاية قليلة ، فالناس ينفضون من حولك ،وأنت ترى وسائل الهدم والتخريب قد استحوذت على الكثير منهم وأصبحت تفسد في ساعة ما يبنيه الداعية في سنة . . وهذا المنطق قد يؤثر على كثير ممن لم يعتد على عقبات الطريق ، وهنا يأتي دور الصبر والتأني ، الصبر الجميل . . . فالعجلة في قطف ثمار الدعوة ونتائجها لا تتناسب مع الصبر الذي يجب أن يتحلى به الداعية .

وقد يكون الداعية في موقع من المواقع (بلد ، مدرسة ، مؤسسة . . .) يجاهد في رد المنكرات ونشر الدعوة ،ويحدث على يديه خير كثير ، لكنه لا يحس به لأنه يجئ بصورة تدريجية . . كما لا يحس الأب بنمو طفله الذي يراه صباح مساء لأنه يكبر شيئاً فشيئاً . . وكم من داعية تخلى عن موقع من المواقع

ظاناً أنه ليس له أثر، ولما تخلى بان فقده وظهرت مكانته ، فكان كما قيل :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وكان كالكسعي [١] الذي يصنع السهام ويرمي بها في الليل ويظن أنها لم تصب ما أراد .. فكسر القوس ، فلما أصبح رأى أنها قد أصابت فندم على كسرها .. وصار يضرب به المثل في الندم ، حتى قال الفرزدق حين طلق زوجته :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

■ فعلى الداعية ألا يستعجل النتائج والثمرات ، بل يسعى ويعتمد على الله تعالى ، ويدرك أنه بمنطق التجربة ، أن أي جهد صحيح يبذل في هذه الأمة يكون له ثمره ، فلم يقع في هذه الأمة أن أحداً دعا فلم يُستجب له ، أو نصح فلم ينتصح بأمره ونهيه أحد ، أو عالماً جلس للتعليم فلم يقعد إليه أحد ، إلا أن يؤتى من قبل نفسه ...[٢] .

نصيحة الشيخ / ابن عثيمين - رحمه الله - :

قال : (معلوم لدى كل أحد ما يجري في الساحة الإسلامية من ظهور الجماعات المتفرقة المتحزبة التي طفت على سطح الماء في هذه الأونة الأخيرة بينما كان اتجاه الشباب قبل سنوات اتجاها سليماً ، فلم يكن أحدهم يعتقد أن الآخر مضاد له .. لكن في الآونة الأخيرة نزغ الشيطان بين شبابنا ، فنفث فيهم التحزب والتحمس لطائفة معينة أو لشخص معين .. وإذا تفرق الشباب الذي يقول : إنه يعتني بالإسلام ويغار على الإسلام ، فمن الذي يجادل عن الإسلام ؟ ومن الذي يحاج هؤلاء المبطلين ؟ .

---

(١) هو محارب بن حفصة بن قيس بن غيلان من عدنان ــ جد جاهلي ــ انظر الأعلام للزركلي ٥ / ٢٨١

(٢) من أخلاق الداعية : للشيخ سلمان بن فهد العودة ص ٢١ ــ ٢٧ تصرف وإيجاز ــ ط مطبعة سفير ــ الرياض ١٤١١ هـ .

أقول للشباب :

ألم تعلموا أن هذا التفرق قرة عين الملحدين من العلمانيين وغيرهم ، لأنهم يقولون : كُفينا بغيرنا !!

ولو أن أحداً من هؤلاء الملحدين ، بل لو أن أمة من هؤلاء الملحدين أرادوا أن يفرقوا شباب الإسلام هذا التفريق وهذا التمزيق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لو خلصت النية وصلح العمل .

■ أما الآن فالشباب في وضع يؤسف له.. لهذا نناشدهم الله في أن يتركوا التحزب والمجادلات.. والحماس الأهوج.. وأن لا يسيروا وراء المتحمسين حماساً أهوجاً..وأن يدعوا إلى الله على بصيرة ، والدعوة إلى الله على بصيرة تكون من وجهين ، الأول : بصيرة في الشريعة فلا يدعو إلى الله على جهل ، لأن من دعا عباد الله إلى شريعة الله وهو يجهلها ، فإنه يفسد أكثر مما يصلح ، وبعد ذلك ينبغي أن يتحلى ببصيرة أخرى تتعلق بكيفية الدعوة ،وذلك بسلوك الحكمة ، لأن المقصود الوصول إلى الحق لا الانتقام ولا الانتصار للنفس ، وكثير من الإخوة الدعاة الغيورين تجده لا يستعمل الحكمة في الدعوة بل تحمله الغيرة على العنف وكأنه يريد الانتصار لنفسه أو لقومه ،وهذا غلط، لأن الله يقول لنبيه ﷺ :﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل : ١٢٥] ، ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ [يوسف : ١٠٨] لا إلى هواي ورأي وقولي ، فاجعل همك أيها الداعي إلى الله أن تدعو إلى الله وإلى سبيل الله ، وحينئذ لا بد أن تكون على بصيرة في كيفية الدعوة إلى الله تعالى)[١] .

نصيحة الشيخ / محمد عيد عباسي :

قال في نصيحة موضوعية مطولة قامت على إحدى عشر محوراً هاماً نقتطف

---

(١) نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات والأحزاب الإسلامية، ص ٤١٥ – ٤١٩ ، بإيجاز وتصرف يسير .

منها ما يتعلق بنصيحته في جانب التعجل والتسرع : (اعتماد الإصلاح من القاعدة وليس من القمة ، ويتصل بما سبق مأخذٌ آخر على كثير من الجماعات الإسلامية ، هو الاستعجال في قطف الثمرة قبل نضجها ، والرغبة في الوصول إلى السلطة بأقصى سرعة . .وهذا الذي دفعهم إلى تبني طريقة الثوريين باستعمال العنف والقوة للوصول إلى الحكم لأنهم يريدون طريق الإصلاح أن يبدأ من القمة وينتهي بالقاعدة ، فيتوهمون أنه بمجرد الوصول إلى سُدة الحكم يتحقق كل الأحلام ، ويصلح كل شيء ، ولذلك يخططون للوثوب على السلطة بأي طريقة دون أن ينتظروا دعوة الناس وتبليغهم واستجابتهم وتربيتهم ، ويكتفون بمن معهم ولو كانوا أقلية محتجين بكلمة تنسب إلى عثمان رضي الله عنه إن الله ليزعُ بالسلطان مالا يزع بالقرآن) ويوسعون معناها ، ويحملونها مالا تحمل ، ويعارضون بها ما ثبت في كثير من الآيات والأحاديث من الدعوة إلى الصبر والتبليغ بتربية الناس وتعليمهم والتربص والانتظار .

■ والحقيقة أن أساس التغيير وقاعدته هو الشعب والناس فإذا صلحوا واستجابوا صلحت القمة ، لأنها منهم وبهم ، والحكام لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً دون الناس . . . إن تطبيق الإسلام وإقامة دولته لا يتحققون بمحرد استلام الحكم ، بل لابد أن تستند إلى أمة مؤمنة بالله تخافه وترجوه وتحبه وتطيعه ، وتكون قد ربيت على ذلك حتى صار هو محركها ودافعها وغايتها فهذا ضمان لاستمرار قوتها ،، والذين يقولون إن الحكومة الإسلامية إذا قامت فهي كفيلة بتعليم الناس وتربيتهم مخطئون كل الخطأ ، وذلك لأن تلك الدولة إذا قامت فستتألب عليها الحرب العوان سياسياً واقتصادياً وثقافياً وربما عسكرياً ولن يكون لديها وقت لتربية الناس حينئذٍ ، بل إنهم إن لم يكونوا رُبو على بذل نفوسهم وما يملكون في سبيل الله، فسينقلبون عليها حينما يشعرون بأي خطر، أو حينما يلاقون بعض الضيق ،وستسقط تلك الدولة عاجلاً ، وتكون خيبة المسلمين ربما

تؤدي إلى اليأس والقنوط ، لذا فمن الخطأ الاستعجال في الوصول إلى الحكم ، بل الواجب التأني والتريث ، فمن حِكم سلفنا الصالحين قولهم : (من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه) .

■ إن انحطاط المسلمين وتأخرهم وضعفهم قد مضى عليه قرون طويلة نخر خلالها في جسدهم سوس الجهل والخرافة والتصوف والتعصب وحب الدنيا والبعد عن شرع الله فهدمه تهديماً ، ولا يمكن أن يُشفى أو يقوى بأيام أو أشهر أو سنين .. فهذا يحتاج إلى زمن طويل وصبر مديد ومع الصبر عمل جاد دؤوب ، صحيح إنه طريق شاق وطويل لكنه مضمون النتائج وناجح العواقب ، ويكفي أنه طريق الرسل والأنبياء عليهم السلام [١] .

وقال في تعجل الشباب في التحرش بالحكام ومصادمتهم :

(مما يؤخذ ـ أيضاً ـ على بعض الحركات الإسلامية حرصها على مصادمة الحكام ومقارعتهم،وإثارة الناس ضدهم،في الوقت الذي تكون فيه هذه الحركات ضعيفة لا تقوى على ذلك ، وليس لديها الإمكانات والقدرة على تحمل ما يمكن أن يصيبها من الأذى ، فتجر على نفسها الويلات والنكبات التي هي في غنى عنها ، علماً بأن الله تعالى لم يكلفها بذلك ،، فهذا رسول الله ﷺ يقول : (لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه قالوا: يا رسول الله وكيف يذل نفسه ؟ قال : يُحمِّلها ما لا تطيق)[٢] ـ وهذا ما حصل ويحصل في كثير من البلدان الإسلامية ، إذ تكون الدعوة في عافية ويجرى النشاط على قدم وساق في نشر العلم ، ودعوة الناس إلى الدين وتطبيقه ، وبناء الشخصية الإسلامية المتميزة فالكتب والنشرات والأشرطة والمحاضرات تعم كل مكان،والمظاهر الإسلامية من لبس النساء الجلابيب

---

(١) نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام ، ص ٤٤١ – ٤٤٤ بإيجاز .

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن حذيفة رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في السلسلة الصحيحة برقم ٦١٥ .

وإعفاء الرجال اللحى، وامتلاء المساجد بالمصلين وانحسار دائرة الفواحش وتوبة كثير من العصاة والمفسدين ظاهرة أحيْت الأمل في نفوس المؤمنين ، ولكن بعض الحمقى والمتهورين والجهلة والمغالبين لم يعجبهم ذلك فأرادوا أن يقطفوا الثمرة قبل نضجها ويقفزوا إلى الحكم قفزاً دون أن يأتوا البيوت من أبوابها ، ويسلكوا للوصول إلى الغايات سبيلها ، فأقاموا التنظيمات السرية وخططوا المؤامرات لقلب الأنظمة والحكومات ،ونفذوا أعمال التفجير والاغتيالات وتحرشوا بالدول والحكومات، فقلبت هذه الدول لهم و لغيرهم من الحركات الإسلامية بل ولدعوة الإسلام نفسها ظهر المجن ،ولاحقت كل متدين ومتدينة من أصحاب الحركة والنشاط ومنعت ما كان مسموحاً ،وضيقت ما كان من قبل موسعاً وانحسرت تلك الدعوة ، وخاف الناس من أن يصيبهم الضرر والأذى فانصرفوا عن المساجد وخلعت النساء الجلابيب ، وأحرق من اشترى كتب العلم والدين كتبهم ، أو دفنوها وهجروها ، وحلق الملتحون لحاهم ، وانفض كثير من الناس عن الدعوة والدعاة ، وأصيب المؤمنون بخيبة أمل كبرى وبنكسة عظمى وأصبحوا بين قتيل وسجين ومعذب ومشرد فما كان أغناهم عن ذلك ، لقد طلبوا الزيادة فوقعوا في النقص وراموا السيادة فوقعوا في العبودية وحق عليهم القول من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه . . فهل يتعظ الدعاة والشباب المتحمسون؟ وهل يثوبون إلى رشدهم ويهتدون بهدى نبيهم في الدعوة وطريقة العمل كما يهتدون به في العقيدة والأحكام والشيم ؟ ، أرجو ذلك [١] .

نصيحة الشيخ / أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ :

قال : (من لوازم المجاهدة في سبيل الله : الاحتراز التام عن أن نستعجلوا في شأن من شؤونكم ، وتخطوا خطوة قبل أن يحين وقتها . . لا تفقدوا توازنكم الفكري حتى في أحرج وأقسى مواقع العواطف الثائرة ، ولا تخطو خطوة

---

(١) نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام ، ص٤٥٨ – ٤٦٢ بإيجاز .

منفعلين بعواطفكم قبل أن تقلبوا فيه وجوه الفكر والتأمل ، ولا تعملوا عملاً إلا مع الهدوء وصحة العقل وسكون القوة الإرادية [١] .

ومن لوازم المجاهدة في سبيل الله :

أن تُعوّدوا أنفسكم على العمل بسعي متصل وطريق منظم فقد تعوّدت أمتنا منذ مدة من الزمان أن تقوم بأعمال لا تحتاج إلا إلى يسير من الوقت ولا تخطو إلا خطوات تظهر نتائجها في عشية أو ضحاها ولو جعلت كل ما أتت به من الأعمال قبلها هباءً منثوراً ، عليكم أن تغيروا هذه العادة فيكم وتروضوا أنفسكم على الأعمال الثابتة البعيدة الأثر والنتائج بطريق منظم تدريجي ، فكل عمل مهما كان صغيراً في نظركم - إذا كان مهمّاً في حدّ ذاته وكُلفتمْ به - فعليكم أن تنفقوا فيه حياتكم كلها بدون أن تنتظروا له نتيجة عاجلة مرئية [٢] .

والطريق الصحيح للإصلاح الجماعي :

أنه إذا خالجك شيء عن أخيك ، ووجدت عنه شكاية في نفسك ، فعليك أن تجنب نفسك العجلة ، وتبذل ما استطعت من الجهد لفهم حقيقة موقفه وحقيقة الشكاية التي نشأت عنه في نفسك [٣] .

وبعد فهذه نصائح نحسب أن أصحابها من الصادقين الأمناء فيها على حد قول كل رسول لقومه : ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[الأعراف : ٦٨] [٤]، فجزاهم الله خيراً ، وما من واحد من أهل العلم في قرية أو حارة أو مدينة إلا نصح الشباب بترك العجلة ، لأنهم يحبونهم ويعلمون أن الخير فيهم ، ماداموا يعتقدون أن الدعوة واجب إيماني في عنق الجميع .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ، نقلاً عن كتاب « تذكرة دعاة الإسلام » للشيخ المودودي .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٢٦ .

(٤) هذه الجملة على لسان هود عليه السلام .

ونأمل ونرجوا أن تتجرد النفوس لقبول النصح ، فإن الخير فيه ، وتركه أو ردّه آفة خطيرة تفتح أبواب الهوى والتعصب بل وكل الآفات التي تهلك الإنسان وتعطل مسيرة الدعوة ، فنعوذ بالله من الاستنكاف عن قبول النصح ونسأله تعالى أن يشرح للحق صدورنا آمين .

الخاتمة

نسأل الله حسنها في الأمر كله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ

وبعد :

فقد عشنا في ظلال هذا البحث ، نبحث عما نُقوّم به عوجنا ، ونهذّب به أخلاقنا وسلوكنا ، وقد بدا لنا خطورة العجلة في شتى مناحي الحياة ، وخصوصاً في العمل الدعوي ، وكيف أنه يترتب عليها ضياع الجهود ، وتعطيل المسيرة وتفريق الصف ونفور الناس ، وتشويه صورة الدعوة ، وتمكين الخصوم منها وإتاحة الفرص لهم لضربها وعرقلتها .. في حين رأينا أثر الأناة والحلم والصبر في الدعوة ... ورأينا مدى اهتمام العلماء بالنصح للشباب ليضبطوا فورة الحماس الإيماني بالفقه والفهم والموازنة بين المصالح والمفاسد والنظر في عواقب الأمور .

■ وإنني لأكرر النداء لإخواني الشباب المؤمنين الذين تملأهم حماسة الإيمان والحرص على مستقبل الإسلام بضبط النفس والاستفادة من تجارب الماضي والتجرد الخالص لله تعالى بعيداً عن الحزبية البغيضة ، وفي إطار التكامل والتوحد والتغاضي عن السقطات والزلات ، والاعتذار ما أمكن ، والنظر إلى خير الآخرين الذي هو كفيل أن يواري سيئاتهم ، وإحسان الظن بهم لا بالنفس ، فأكثرنا يحسن الظن بنفسه ويسيئه بالآخرين ، وتلك طامة .

■ وإنني لست أزعم أنني وفيت الموضوع حقه ، ولكن حسبي بذل الوسع ، كما لست أدعى أنني في غنى عن تلك التوجيهات والنصائح فأنا أفقر إليها ممن كتبتها لهم ، فإن وُفقت فمن الله ، و إن أخفقت فمن نفسي ومن الشيطان ،

وأرجو الله تعالى أن يُحسن أخلاقنا وأن يهدينا سواء السبيل ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب له القبول .

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

عفا الله عنه

المراجع والمصادر

[١] القرآن الكريم جلَّ وصدق من أنزله .

[٢] إحياء علوم الدين ـ لأبي حامد الغزالي ـ ط مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ١٩٩٦م .

[٣] أخبار أبي حنيفة وأصحابه لحسين بن علي الصميري ـ طبعة المعارف الشرقية بالهند ١٣٤٩ هـ .

[٤] الأدب المفرد , للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ ط دار السلام القاهرة ٢٠٠٥ ، تحقيق أحمد عبد الله عبد الرزاق البكري .

[٥] أسباب النزول ـ للواحدي النيسابوري ، ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠١ .

[٦] أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ لابن الأثير ـ ط دار المعارف ـ بيروت ٢٠٠١م .

[٧] الأساس في التفسير ـ لسعيد حوى ـ ط دار السلام ـ القاهرة .

[٨] الإصابة في تمييز الصحابة ـ لابن حجر ـ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠١م.

[٩] الإيمان والحياة ـ للشيخ / يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة ٢٠٠٤م.

[١٠] آفات على الطريق للدكتور / السيد محمد نوح ـ ط دار الوفاء المنصورة ١٩٨٨ م.

[١١] البداية والنهاية ـ لابن كثير .

[١٢] بيان للناس من الأزهر الشريف ـ للشيخ جاد الحق علي جاد الحق ـ ط وزارة الأوقاف ـ القاهرة ١٩٩٤ م .

[١٣] تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي .

[١٤] تدريب الراوي ـ لجلال الدين السيوطي ـ ط دار الفكر ـ بيروت١٩٩٨م .

[١٥] تدريس التربية الإسلامية وتطبيقاته : د/ محمد صلاح الدين مجاور ـ ط دار القلم ـ الكويت ١٣٩٦هـ.

[١٦] التربية القيادية ـ لمنير الغضبان ، ط دار الوفاء ، المنصورة ١٤١٨ هـ.

[١٧] تفسير البيضاوي ـ للقاضي عبد الله محمد البيضاوي ـ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٦ .

[١٨] تفسير التحرير والتنوير ـ للطاهربن عاشور ـ ط دار سحنون ـ تونس .

[١٩] تفسير الشعرواي ـ للشيخ / محمد متولي الشعراوي ـ ط أخبار اليوم القاهرة .

[٢٠] التفسير القرآني لقرآن ـ د/ عبدالكريم الخطيب ـ ط دار الفكر العربي ـ بيروت .

[٢١] تفسير القرآن العظيم ـ للحافظ ابن كثير ـ ط دار النهضة ـ بيروت ١٩٩٦م .

[٢٢] التفسير المنير ـ للدكتور وهبة الزحيلي ـ ط ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ١٩٩٨م .

[٢٣] تفسير النسفي ـ عبد الله أحمد النسفي ـ ط دار الفكر النفائس ـ بيروت ١٩٩٦ م .

[٢٤] التفسير الوسيط ـ للدكتور / وهبة الزحيلي ـ ط ـ دار الفكر ـ سورية ولبنان ٢٠٠١ م .

[٢٥] التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ـ د /محمد السيد يوسف ـ ط دار السلام ـ القاهرة ١٩٩٧ .

[٢٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ للشيخ السعدي ــ ط دار ابن حزم ــ بيروت ٢٠٠١ .

[٢٧] الجامع لأحكام القرآن ـ للإمام القرطبي ــ ط دار الفكر ــ بيروت ٢٠٠٢م.

[٢٨] جامع البيان في تأويل آي القرآن ــ للإمام ابن جرير الطبري ــ ط دار الفكر ــ بيروت ٢٠٠١ م.

[٢٩] جيل النصر المنشود ــ للشيخ القرضاوي ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة .

[٣٠] الحرب النفسية ضد الإسلام ــ د/ عبد الوهاب كحيل ط عالم الكتب ــ بيروت ١٤٠٦هـ .

[٣١] الخصائص العامة للإسلام ــ للشيخ القرضاوي ــ ط مكتبة وهبة ــ القاهرة ١٩٨٩ .

[٣٢] الخطاب التربوي الإسلامي ــ د/ سعيد إسماعيل علي ــ سلسلة الأمة ــ عدد ١٠٠ .

[٣٣] دروس المساء بين المغرب والعشاء ــ للشيخ عبد الحميد كشك .

[٣٤] دلائل النبوة ــ للحافظ البيهقي ــ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت .

[٣٥] الرحيق المختوم في سيرة سيد المرسلين ــ لصفي الرحمن المباركفوري ــ ط دار المؤيد للنشر والتوزيع – الرياض ٢٠٠٢م .

[٣٦] الرسول القائد ــ اللواء محمد شيت خطاب ــ ط مكتبة الحياة ــ بيروت الثانية .

[٣٧] الروض الأنف ــ للسهيلي – ط دار الكتب الحديثة ١٣٨٧ هـ.

[٣٨] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ــ لابن حبان ــ ط مكتبة نزار مصطفى الباز ــ الرياض ١٤٢٢هـ.

[٣٩] الزهد ـ لعبد الله بن المبارك ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٨م.
[٤٠] سير أعلام النبلاء ـ للإمام الذهبي ـ ط مكتبة الصفا ـ القاهرة ٢٠٠٣م.
[٤١] السيرة الحلبية ـ لعلى برهان الدين الحلبي ـ ط دار المعرفة .
[٤٢] السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٨ م.
[٤٣] السيرة النبوية ـ للدكتور محمد محمد أبو شهبة ـ ط دار القلم ـ سورية ٢٠٠٢ م.
[٤٤] السيرة النبوية دروس وعبر ـ للدكتور محمد علي الصلابي ـ ط دار الإيمان ـ إسكندرية ٢٠٠٢ م.
[٤٥] السيرة النبوية الصحيحة ـ للدكتور أكرم ضياء العمري ـ ط مكتبة المعارف والحكم ـ المدينة المنورة .
[٤٦] السلسلة الصحيحة ـ للشيخ الألباني ـ ط مكتبة المعارف ـ الرياض ٢٠٠٢ م.
[٤٧] سُنن الترمذي ـ للإمام أبو عيسى الترمذي ـ ط دار ابن حزم ـ بيروت ٢٠٠٢ م .
[٤٨] الصحوة الإسلامية بن الجحود والتطرف ـ للشيخ القرضاوي ـ ط دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٩٢ .
[٤٩] صحيح البخاري ـ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ ط دار ابن حزم ـ بيروت ٢٠٠٣ .
[٥٠] صحيح الترغيب والترهيب ـ للشيخ الألباني ـ ط مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٢١ هـ .
[٥١] صحيح سُنن أبو داود ـ للشيخ الألباني ـ ط مكتبة المعارف - الرياض ٢٠٠٠ م .

[٥٢] صحيح سنن الترمذي ـ للشيخ الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ٢٠٠٢ م.

[٥٣] صحيح سنن النسائي ـ للشيخ الألباني ـ ط مكتبة المعارف ـ الرياض ٢٠٠٢ م.

[٥٤] صحيح السيرة النبوية ـ لإبراهيم العلى ـ ط دار النفائس .

[٥٥] صحيح مسلم ـ للإمام مسلم بن الحجاج ـ ط دار ابن حزم ـ بيروت ٢٠٠٢ م.

[٥٦] طبقات الشافعية الكبرى ـ للإمام السبكي ـ .

[٥٧] الطبقات الكبرى ـ لمحمد بن سعد ـ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٤ .

[٥٨] طوق الحمامة ـ لابن حزم الظاهري ـ ط المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٩٧٠ .

[٥٩] عالم الملائكة ـ للدكتور عمر الأشقر ـ ط دار النفائس ـ الأردن .

[٦٠] علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية ـ د / عبد العلى الجسماني ـ ط الدار العربية للعلوم .

[٦١] عمر بن عبد العزيز ـ للدكتور محمد على حفناوي ـ ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٩٨٣ .

[٦٢] عناصر القوة في الإسلام ـ للشيخ السيد سابق ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٧٣ .

[٦٣] العوائق ـ للأستاذ / محمد أحمد الراشد ـ مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م .

[٦٤] عولمة الجريمة رؤية إسلامية ـ د / محمد شلال العاني ـ ط سلسلة الأمة عدد جمادي الأولى ١٤٢٦ هـ .

[٦٥] الغرباء الأولون ــ للشيخ / سلمان بن فهد العودة - ط دار ابن الجوزي ــ الدمام ــ الثالثة ١٤١٢ هـ.

[٦٦] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ــ لابن حجر ــ ط دار الفكر ــ بيروت ٢٠٠٠ م .

[٦٧] فتح البيان في مقاصد القرآن ــ لصديق حسن خان ــ ط دار الفكر العربي .

[٦٨] فتح القدير ــ للإمام الشوكاني ــ ط مؤسسة الريان بيروت ١٩٩٦م .

[٦٩] فقه الأولويات ــ د / محمد الوكيلي ــ ط المعهد العالمي للفكر الإسلامية ١٩٩٧ .

[٧٠] في ظلال القرآن ــ للشيخ سيد قطب ــ ط دار الشروق ــ القاهرة ٢٠٠٢ م .

[٧١] قذائف الحق ــ للشيخ محمد الغزالي ــ ط دار القلم سورية ٢٠٠٢م .

[٧٢] القرآن والسُّنَّة هموم إسلامية معاصرة أ/ فهمي هويدي ــ ط دار الشروق ١٩٨١ .

[٧٣] القرآن وعلم النفس ــ د / عبد العلى الجسماني ــ ط الدار العربية للعلوم ــ بيروت ١٩٩٧ .

[٧٤] قواعد في التعامل مع العلماء ــ د / عبدالرحمن بن معلا اللويحق ــ ط دار الوراق ــ الرياض ١٤١٤ هـ.

[٧٥] كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال ــ للمتقي الهندي ــ ط مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٩٨٩ م .

[٧٦] كيف ندعو الناس ، للشيخ / محمد قطب ــ ط دار الشروق ــ القاهرة ــ الأولى ٢٠٠٠ م .

[٧٧] لا تحزن ــ للشيخ عائض القرني ــ ط مكتبة العكيبان ــ الرياض .

[٧٨] لسان العرب ـ لجمال الدين بن منظور ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

[٧٩] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد– للهيثمي ـ دار الفكر – بيروت ١٩٩٤م .

[٨٠] محنة المسلمين في العهد المكيّ ـ د / سليمان السويكت ط مكتبة التوبة ـ الرياض ١٩٩٢ م .

[٨١] مسند أبي يعلى ـ للحافظ أبي يعلى الموصلي ـ ط .

[٨٢] مسند أحمد– للإمام أحمد بن حنبل– ط دار الفكر – بيروت الثانية ١٩٩٤ م .

[٨٣] مشاكلنا في ضوء الإسلام ـ د/ عبد المنعم النمر ـ ط مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٧م .

[٨٤] المصفى من صفات الدعاة ـ لعبد الحميد البلالي ـ ط دار الدعوة ـ الكويت ١٩٩٨ م .

[٨٥] المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ـ لمحمد بسام رشدي الزين ـ ط دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ دمشق ١٩٩٥م .

[٨٦] معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس ـ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١ م .

[٨٧] المعجم الكبير ـ للإمام الطبراني ـ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

[٨٨] مفاتيح الغيب ـ للإمام فخر الدين الرازي ـ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠٢ م .

[٨٩] من أخلاق الداعية ـ للشيخ / سلمان بن فهد العودة ـ ط مطبعة سفير ـ الرياض ١٤١١ هـ.

[٩٠] الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ـ د/ سعود بن عبد الله الحزيمي ـ ط دار الفجر للتوزيع ـ القاهرة ٢٠٠٥ م .

[٩١] مهارات التربية الإسلامية ـ د / عبد الرحمن بن عبد الله المالكي ـ سلسلة الأمة عدد ربيع الأول ١٤٢٦ هـ.

[٩٢] نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات والأحزاب الإسلامية ـ للأستاذ / نظام سلامة سكجها ـ ط المكتبة الإسلامية ـ الأردن ١٤٢٠ هـ.

[٩٣] واقعنا المعاصر ـ للشيخ / محمد قطب ـ مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ١٩٨٦ م .

[٩٤] الوسيط في تفسير القرآن المجيد ـ للواحدي النيسابوري ـ .

[٩٥] الولاء والبراء ـ لمحمد القحطاني ـ ط دار طيبة ـ الرياض ١٤١٣ هـ.

[٩٦] الهجرة النبوية المباركة ـ د/ عبد الرحمن البر ـ ط دار الكلمة ـ المنصورة ١٤١٨ هـ.



فهرس



فهرس

XXXXX

